UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION
Study Materials

M.A. ARABIC

Paper IV (P) Course No. 104 (P)

THAFSEER LITERATURE

Prepared by

Dr. A. ISMAIL LABBAI

CALICUT UNIVERSITY

2007

CUP/5761/08/1000/SDE-1

القرآن الكريم

القرآن كلام الله تعالى، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. أنه دستور الله السماوي ومعجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز وبيانا لمعارفه وكنوزه. أنزله الله على رسوله محمد صلعم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

فالقرآن إذن رسالة الله إلى الإنسانية كافة. "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" وأن الله تعالى قد جعل فيه الهدى والنور. "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم". وأنه قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق. وهو التنزيل الحكيم. "تقرأه فإذا هو بحر العلوم والمعارف متلاطم زاخر، وإذا روح الإصلاح فيه قوى قاهر... إذ تراه يقدم للإنسانية مزيجا صالحا من عقيدة راشدة ترفع همة العبد، وعبادة قويمة تطهر نفس الإنسان، واخلاق عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله في الأرض، وأحكام شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضي والفساد، وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة، دينا قيما يساوق الفطرة ويوائم الطبيعة ويشبع حاجات القلب والعقل، ويوفق بين مطالب الروح والجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا، ويجمع بين عزّ الآخرة والأولى. كل ذلك في قصد واعتدال، وببراهين واضحة مقنعة تبهر العقل وتملك اللب"[1].

وليس من شك في أن الله سبحانه وتعالى قد اختص هذه الأمة بفضله. ومنحها الخير الدائم حين أنزل فيها هذا الكتاب العزيز دستورا ومنهاجا وهداية وبشارة وشفاء ورحمة" وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا"[2].

وصف القرآن مبلغه الصادق محمد صلعم فقال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم... من قال به صدق، ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم[3].

فلا عجب أن يكون في القرآن الكريم العلاج الحاسم والدواء الناجع لجميع ما يعترض الحياة الإنسانية في مسيرتها من أمراض روحية وعقلية واجتماعية واقتصادية وسياسية. فهو تنزيل من

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن- للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ٢: ٢٦٧
[2] سورة الإسراء: الآية: ٧٢
[3] صحيح الترمذي ٢:١٤٩

حكيم حميد، يعلم أمراض البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ويعلم علاج كل داء فضمنه القرآن الكريم وجعله خالدا بخلود البشر وباقيا ببقائهم إلى يوم القيامة.

وأتى القرآن وافيا بجميع مطالب الحياة على الأسس الأولى للأديان السابقة. يقول تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه. وقال النبي صلعم "وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة. وبعثت إلى الناس كافة "وقال أيضا أنا العاقب فلا نبي بعدي".

وتحدى رسول الله صلعم العرب بالقرآن. وقد نزل بلسانهم. وهم أرباب الفصاحة وأساطين البيان. "فأعجزت الفصحاء معارضته وأعيت الألباء منا قضته وأخرست البلغاء مشاكلته". فعجزوا عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله كما بينها القرآن.

"وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله. وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين"[4].

وكتب الله له الحفظ والطهارة والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل. فمن أوصاف جبريل الذي نزل به "نزل به الروح الأمين" ومن أوصافه وأوصاف المنزل عليه "إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون. .:. انه لقرآن كريم في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون". ولم تكن هذه الميزة لكتاب أخر من الكتب السابقة، لأنها جاءت موقوتة بزمن خاص. وصدق الله حيث قال: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

نستطيع أن نقول بدون أدنى شك بأن القرآن يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة- الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، علاجا مفيدا. ووضع لكل مشكلة بلمسها الشافي في أسس عامة تترسم الإنسانية خطاها، وتبنى عليها في كل عصر ما يلائمها. فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان. فهو دين الخلود. وجدير بالذكر هنا قول الإمام الشهيد حسن البنا حيث يقول. "الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا. فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة.

---

[4] البقرة الآيتان ٢٣ و٢٤

وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة سواء بسواء[5].

والخلاصة أن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة، تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر. وفاءً لا تظفر به في أي تشريع ولا في أي دين آخر. وهذا الدين دين عام خالد ختمَ الله به الأديان. فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض. أنهى إليه منزله كل تشريع وأودعه كل نهضة وناط به كل سعادة. وهو حجة الوصول وآيته الكبرى. يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته ناطقا بنبوته، دليلا على صدقه وأمانته. وهو ملاذ الدين الأعلى. يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه... وهو أولا وآخرا القوة المحولة التي غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا"[6].

وكان المسلمون في امس الحاجة إلى تفهم آيات القرآن ليستطيعوا أن يهتدوا بهداه وأن يستنيروا بأنواره. "وأيقنوا أنه لا شرف إلا والقرآن سبيل إليه، ولا خير إلا وفي آياته دليل عليه. وقاموا بدراسته ليقفوا على ما فيه من مواعظ وعبر، وأخذوا يتدبرون في آياته ليأخذوا من مضامينها ما فيه من سعادة الدنيا وخير الآخرة"[7].

علوم القرآن

كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول وصحابته ومن سلف الأمة وخلفها جميعا إلى يومنا هذا. وقد اتخذت هذه العناية اشكالا مختلفة. فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه وتارة أخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وتارة إلى كتابته ورسمه ورابعة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك "جمع القرآن في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رض وبدأ الرسم الخاص المعروف بالرسم العثماني وأخذت أصول بعض العلوم توضع كالنحو في عهد الخليفة الرابع علي رض واعتمد الناس في مباحث القرآن على الرواية المتصلة بالتلقين إلى أن بدأ عصر التدوين في القرن الثاني. وألف في تفسير

---

[5] مباحث في علوم القران- لمناع القطان ص ١٢ - ١٣
[6] مناهل العرفان ١:١٢
[7] التفسير والمفسرون ١:٦

القرآن سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج. ثم نهج نهجهم ونسج على منوالهم ابن جرير الطبري، وحذا حذوه آخرون"[8].

كما بدأ كذلك التأليف الموضوعي في موضوعات تتصل بالقرآن ولا يستغنى المفسر عنها، فألف ابن المديني كتابا في أسباب النزول، وابن سلام في الناسخ والمنسوخ، وابن قتيبة في مشكل القرآن، والسجستاني في غريب القرآن، والراغب في مفرداته، والحوفي في إعراب القرآن، وعز الدين عبد السلام في مجاز القرآن والسخاوي في علم القراءات، وأبو بكر الباقلاني في إعجاز القرآن، والماوردي في امثال القرآن، وابن القيم في أقسام القرآن.[9]

"ويمكن أن نعرف بأنه [علوم القرآن] مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك"[10].

ومما تقدم نستطيع أن نقول أن كل علم يتصل بالقرآن من ناحية قراءته أو يتصل به من ناحية هدايته أو اعجازه أو من ناحية تفسيره فذلك من علوم القرآن.

وقد ألف العلماء في كل عصر مؤلفات تناسب معاصريهم في الأسلوب والتنظيم والترتيب والتبويب؛ وما زالوا يؤلفون. وكل منهم يبذل جهده أن يبسط هذه العلوم بأسلوب سهل يدنى فيه البعيد ويوضح فيه المبهم والمستغلق. وما زال الصحابة يتدبرون معاني القرآن ويتدارسون أحكامه حتى حفظه كثير منهم. واشتهر آخرون بدقة تفسيره وأحكام تلاوته. وبهذا كله نشأت علوم القرآن في وقت مبكر.

ذلك الشتات من التأليف الموضوعية لم يكن بد من تنظيمه وتنسيقه وترتيبه وجمعه ليشمله كتاب واحد مدوّن. فألف ابن الجوزي كتابا اسمه "فنون الأفنان في علوم القرآن" وألف نور الدين الزركشي كتابا وافيا اسمه "البرهان في علوم القرآن" وهناك كتاب مشهور لجلال الدين السيوطي. وذلك "الاتقان في علوم القرآن" ويعتبر هذا الكتاب مرجع الباحثين في هذا الفن.

وفي عصر النهضة الحديثة اسهم بعض الأدباء في هذا الفن. فألف الشيخ محمد علي سلامة كتابه "منهج الفرقان في علوم القرآن" والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن.

---

[8] مناع القطان ص ٨
[9] مناع القطان ص ٨
[10] مناهل العرفان ١: ٢٧

وهذه المباحث وتطورها وثيقة الصلة بتفسير القرآن الكريم. وأن ايضاح المعنى المراد للاية القرآنية يتوقف على مدى احاطة المفسر بها ليأمن الخطأ والزلل. فأسباب النزول، والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص، والمحكم والمتشابه. كل هذه البحوث أسس هامة يعتمد عليها المفسر في تفسير القرآن. ومن هنا نشأ تسميتهاب "أصول التفسير"[11].

وعلم أصول التفسير: هو علم يبحث فيه عن المسائل التي يستند إليها الباحث في بيان الكتاب الحكيم. وحيث كانت مباحث هذا العلم مباحث تتصل بالقرآن، فكثيرا ما تسمى ب "علوم القرآن".

ونرى أن علوم القرآن قد نشأ وتطور عبر القرون ولا . القرآن كلام الله. أودع فيه الهدى والنور. وأبان فيه العلم والحكمة. فأقبل العلماء ينهلون من م ويعبون من نقاخه فاستنبط الفقهاء من أحكامه واهتدى أهل البيان بنظامه وتفكر المتفكرون في صه وأخباره، وتأملت طائفة في حججه وبراهينه. وأقبلت طائفة على تاريخ نزوله ومكيه و دنه وأول ما نزل وآخر ما نزل وأسباب النزول وجمعه وتدوينه وترتيبه وناسخه ومجمله ومبينه ثاله وقصصه وأقسامه وجدله وتفسيره حتى أصبحت هذه المباحث علوما واسعة غاصت في بحو العلماء واستخرجوا منها الدرر واتسعت هذه الأبحاث حتى احتاج الناس إلى من يجمعها بإيجاز ويتحدث عنها باختصار".

تعريف القرآن

لفظ "القرآن" مصدر على وزن "الغفران" مشتق من قرأ قراءة وقرآنا بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. ومنه قوله تعالى: إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه[12] أي قراءته. وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلعم فصار له كالعلم، مثل التوراة، والإنجيل. وقال بعض العلماء تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار الله تعالى إليه بقوله: "ونزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء"[14].

وقال ابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث" سمي القرآن قرآنا لجمعه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض[15].

---

11 مناع القطان ص ٩
12 دراسات في علوم القرآن الكريم - لدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ص ٥- ٦
13 سورة القيامة. الآية ١٧ و ١٨
14 مناع القطان ص ١٣
15 دراسات في علوم القرآن ص ٢١

ومعناه في الاصطلاح: كلام الله تعالى المنزل على محمد صلعم المتعبد بتلاوته. فمن مميزات القرآن التعبد بتلاوته، والإعجاز به ووجوب أدائه بلظفه. التعبد بتلاوته معناه: الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة. وليست الأحاديث القدسية كذلك.

أسماء القرآن وصفاته

للقرآن الكريم أسماء كثيرة وردت في القرآن. منها: القرآن في قوله تعالى "إنه لقرآن كريم" [الواقعة ٧٧]، الكتاب في قوله تعالى: ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه [البقرة ١] الذكر في قوله تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[الحجر٩]، الفرقان "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده [الفرقان١] والنور في قوله تعالى. فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا [التغابن ٨].

ومن صفات القرآن: مبارك، هدى، رحمة، الكريم، الحكيم، الفصل، مبين، موعظة، بشرى، بشير، نذير، وعزيز. فكل اسم وصفة للقرآن يدل على حصول معناه فيه. فتسميته مثلا بالهدى يدل على الهداية فيه. وتسميته بالتذكرة يدل على أن فيه ذكرى وهكذا. وأسماؤه وصفاته توقيفية. لا نسميه ولا نصفه إلا بما جاء في الكتاب أو في السنة النبوية.

التفسير والتأويل

التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين. ومنه قوله تعالى: "ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا" [الفرقان ٣٣] أي أحسن بينا بما نضربه من الأمثال وما نسوقه من البراهين. والتفسير في الاصطلاح عرف بتعاريف متعددة. من أوضحها ما ذكره الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان". قال: هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[١٦]

وعرفوا علم التفسير – أيضا- بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام.

---

[١٦] مناهل العرفان ٦:٢

وعرفوا التفسير تفسيرا ثالثا بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وغير ذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وما به توضيح المقام كالقصة والمثل[17].

وهناك تعريف رابع. وذلك أن التفسير علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها وعامها وخاصها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها[18].

وهذه التعاريف الأربعة تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى على قدر الطاقة البشرية. فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد.

التأويل: وقد جاء لفظ التأويل في القرآن الكريم في كثير من آياته على معاني مختلفة. فمن ذلك قوله تعالى: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله[19] فهو في هذه الآية بمعنى التفسير والبيان. وقوله تعالى: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا[20].

فهو في هذه الآية بمعنى العاقبة والمصير. وقوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٥٣ "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله. وقوله في سورة يونس الآية ٢٩ "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله" فهو في هاتين الآيتين بمعنى تحقيق ما أخبر به القرآن والرسول.

وقوله تعالى "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث"[21] وقوله "لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما[22] وقوله "وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين[23] وقوله "أنا أنبأكم بتأويله[24] وقوله "هذا تأويل رؤياي من قبل"[25]، فهو في هذه الآيات تعبير الرؤي المنامية وبيان ما تشير إليه.

---

17 المصدر السابق ٢: ٧
18 التفسير والمفسرون ١: ١٥
19 آل عمران. الآية ٧
20 النساء، الآية ٥٩
21 سورة يوسف الآية ٦
22 سورة يوسف الآية ٣٧
23 سورة يوسف الآية ٤٤ - ٤٥
24 سورة يوسف الآية ٤٤ - ٤٥
25 سورة يوسف الآية ١٠٠

وقوله تعالى في سورة الكهف "سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا" [الآية ٧٨] وقوله أيضا فيها الآية ٨٢ "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا". فالمراد بالتأويل هنا بيان وجوه الأعمال والأسباب الحاملة عليها من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار. وليس المراد منه تأويل الأقوال[٢٦].

والتأويل في الاصطلاح، يختلف معناه عند العلماء. وهو عند المتكلمين صرف نصوص ما تشابه من الكتاب والسنة عن ظاهره إلى معان تتفق وتنزيه الله تعالى عن المشابهة والمماثلة بخلاف ما ذهب إليه السلف من التفويض والإمساك عن تعيين معنى خاص.

والتأويل في اصطلاح المفسرين يختلف معناه.

قال أبو عبيدة وطائفة معه: التفسير والتأويل بمعنى واحد، وعلى هذا فهما مترادفان. ويكون تعريف التفسير السابق أيضا تعريف التأويل. وهذا هو الشائع عند المتقدمين. وبعضهم يفرق بينهما: وقال ابن حبيب النيسابوري "قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التأويل والتفسير ما اهتدوا إليه. وقال الراغب: التفسير اعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها. وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا. والتأويل: توجيه لفظ يحتمل معاني مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة. ويرى الماتريدي: إن التفسير هو القطع بأن المراد من اللفظ كذا. والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون قطع. وقيل: التفسير: هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة. وقال البغوي: التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها.

وقال بعضهم: التفسير هو البيان بطريق الرواية. والتأويل: البيان بطريق الدارية. وهذا القول هو الأولى. ولا غنى في بيان القرآن الكريم عن الطريقين معا. فإن بعض آياته قد ورد البيان لها عن نبينا صلعم، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي واطلعوا على ما اقترن بنزوله من حوادث

---

[26] التفسير والمفسرون ١: ١٧

وملابسات، وبعضها الآخر لم يرد لها بيان عن النبي صلعم ولا من أصحابه ولا من التابعين – على رأي- فهذه لا بد في بيانها من الاجتهاد.[٢٧]

والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال. هو أن التفسير ما كان راجعا إلى الرواية. والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية. وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى. لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلعم أوعن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله صلعم وراجعوا إليه فيما اشكل عليهم من معاني القرآن الكريم. وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل. والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من كل ذلك[٢٨].

فضل التفسير والحاجة إليه

إن التفسير من أجل علوم الشريعة وارفعها قدرا وهو أشرف العلوم موضوعا وغرضا وحاجة إليه. لأن موضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة. ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية. وإنما اشتدت الحاجة إليه، لأن كل كمال ديني ودنيوي لا بد وأن يكون موافقا للشرع. وموافقته تتوقف على العلم بكتاب الله تعالى[٢٩].

فإننا نستطيع أن نقول بدون شك أن التفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها القرآن لإصلاح البشر وانقاذ العالم كما قال الله تعالى: أن هذا القرآن يهدي للتي هو أقوم" [الإسراء ٥٩] وكذلك قوله تعالى : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم. [المائدة ١٥- ١٦].

وإن فهم القرآن ومعرفة معاني مفرداته وتراكيبه ليس بالأمر الهين الذي يستطيعه كل واحد حتى العلماء الراسخون في العلم، يفوتهم بعض معانيه وتغيب عنهم أشياء من حكمه وأحكامه وحتى الصحابة رض. وقد اعترف بعض كبارهم وفقهائهم بعدم معرفة معاني بعض ألفاظه وخفيت عليهم أحكام من أحكامه حتى بينها لهم رسول الله صلعم.

---

27 التفسير بالمأثور ص ١٧
28 التفسير والمفسرون ١: ٢٢
29 مباحث في علوم القرآن مناع القطان ١٥٦

مثلا لما سئل أبوبكر الصديق رض عن الأب ما هو؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ وفي حديث روى عن انس رض أن عمر رض قرأ على المنبر "فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا إلى قوله وابا". قال كل هذا عرفناه. فما الأبّ؟ ثم رفع عصا كانت في يده. فقال: هذا لعمر الله هو التكلف. فما عليك أن لا تدري ما الأبّ. واتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب، فاعملوا عليه وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه[٣٠].

وكان ابن عباس رض لا يعرف معنى الفطر حتى عرف ذلك من كلام أعرابي. وروى عنه قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها. يقول: ابتدأتها.

قال الزركشي: إن من المعلوم أن الله تعالى إنما يخاطب خلقه بما يفهمونه. ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه على لغتهم. وإنما احتيج إلى التفسير لأن القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب. وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر وسؤالهم النبي صلعم في الأكثر كسؤالهم لما نزل "ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" فقالوا: "اينا لم يظلم نفسه" ففسره النبي صلعم بالشرك. واستدل عليه بقوله تعالى "إن الشرك لظلم عظيم"[٣١].

وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه عندما نزلت الآية "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" قال عدي بن حاتم للنبي صلعم" إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقالا أبيض وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار. فقال النبي صلعم. إن وسادتك لعريض. إنما هو سواد الليل وبياض النهار[٣٢].

ومعلوم أن تفسير النبي صلعم يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه. ولم ينقل عن الصحابة تفسير القرآن وتأويله بجملته. فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم. فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير.

---

30 راجع التفسير بالمأثور ص ٢٦

31 التفسير بالمأثور ٢٨

32 صحيح مسلم في كتاب الصيام.

أنواع التفسير

يتنوع التفسير إلى ثلاثة أنواع. تفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور؛ وتفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي. والثالث تفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشاري.

ويتنوع التفسير بالرأي إلى نوعين: وهما التفسير بالرأي المحمود؛ والتفسير بالرأي المذموم، وهو تفسير أهل البدع والأهواء.

التفسير بالمأثور

هو بيان معنى القرآن الكريم بما جاء في القرآن نفسه، وبما جاء في السنة النبوية الصحيحة، وبما نقل عن الصحابة؛ وبما نقل عن التابعين على رأي، من كلّ ما هو بيان وتوضيح لآيات القرآن. ومن هذا يتبين لنا أن مصادر التفسير بالمأثور هي: أولا: القرآن، فإنه اشتمل على الإيجاز والإطناب وعلى الاجمال والتبيين وعلى الاطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص. وما أوجز في موضع قد يبسط في موضع آخر وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر. وما كان عاما في آية يجيء خاصا في آية أخرى، وهكذا.

ومثال ما جاء بيانا وشرحا للمراد من كلمة "الخيط الأبيض" في قوله تعالى "كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود" لفظ "من الفجر". وكذلك قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا لنكونن من الخاسرين" [الأعراف ٢٣] فإنها بيان للفظ كلمات من قوله تعالى "فتلقى آدم من ربه كلمات، فتاب عليه [البقرة ٣٧] على بعض وجوه التفاسير. وقوله تعالى "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير [المائدة ٣] فإنها بيان للفظ "ما يتلى عليكم" من قوله تعالى:

"أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم" [المائدة ١]. ثانيا: السنة: مثال ما جاء في السنة شرحا للقرآن، إنه فسر الظلم بالشرك في قوله تعالى "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون [الأنعام ٨٢] فقد فهمه بعض الصحابة على عمومه، فقال: واينا لم يظلم نفسه. فقال النبي صلعم "ليس بذلك، إنما هو الشرك".

قال الحاكم في المستدرك: إن تفسير الصحابيّ الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع، لأنهم أدرى بالقرآن لما شاهدوه من القرائن عند نزوله. ولما اختصوا به من الفهم التام والعمل الصالح. ومن تفسير الصحابة مثلا ما نقل عن ابن عباس رض في قوله تعالى: وعلى الذين يطيقونه

فدية طعام مسكين [البقرة ١٨٤] وأن المراد بالمطيق: الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة. انهما لا يستطيعان أن يصوما. فيطعمان عن كل يوم مسكينا. وقد نقل عنه تفسيره "يطيقونه" أي يتكلفونه بجهد ومشقة.

ثالثا: ما جاء من التابعين وأما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف العلماء، منهم من اعتبره من المأثور. لأنهم تلقوه من الصحابة غالبا، ومنهم من قال: انه من التفسير بالرأي.[٣٣]

ان التابعين الذين تصدوا للتفسير قد رووا ما تجمع لديهم من ذلك عن رسول الله صلعم وعن الصحابة. وزادوا على ذلك أقوالا بالرأي والاجتهاد، بمقدار ما طرأ من حاجة الناس إلى اجتهادهم بعد عصر النبي صلعم والصحابة الكرام.

وفي تفسير ابن جرير الطبري كثير من النقول عن الصحابة والتابعين في بيان القرآن. ويقول ابن كثير: ان أكثر التفسير بالمأثور قد سرى الرواة من زنادقة اليهود والفرس وأهل الكتاب. قال بعضهم: وجل ذلك في قصص الرسل مع أقوامهم، وما يتعلق بكتبهم، ومعجزاتهم، وفي أخبار أهل الكهف، ومدينة ارم ذات العماد، وسحر بابل، وعوج بن عنق، وفي أمور الغيب من اشراط الساعة وقيامتها. وجل ذلك خرافات ومفتريات. صدقهم فيها الرواة حتى بعض الصحابة.

المفسرون من الصحابة

قال السيوطي في الاتقان: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة. الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روى عنهم علي بن طالب رض. والرواية عن الثلاثة قليلة. وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم.[٣٤] كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر للحديث. وكذلك قد اشتهر من الصحابة أنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله ابن عمرو بن العاص رض.

ترجمة عبد الله بن عباس

نسبه وحياته: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم النبي صلعم. ولد قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس. وكان واليا من جانب عثمان رض على البصرة. فلم يزل عليها

---

[33] الاتقان للسيوطي ٢: ١٢٢٧؛ ومناهل العرفان ٢: ١٣

[34] مناهل العرفان ٢: ١٣

حتى قتل عليّ رض. وتوفي بالطائف سنة خمس وستين، وقيل سبع وقيل ثمان. وكان عند موت النبي صلعم ثلاث عشرة سنة.

منزلته وعلمه: هو أكثر الصحابة تفسيرا للقرآن ومن أكثرهم نبوغا في العلم. وذلك لأمور. أولها: دعاء النبي صلعم له بالفقه في الدين بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وثانيها: ملازمته للنبي صلعم من عهد التمييز، وقربه من بيت النبوة. فكان يسمع من النبي صلعم الكثير ويشهد العديد من الحوادث والظروف التي نزل فيها بعض آيات القرآن. وثالثها: ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبي صلعم. يأخذ عنهم ويروى لهم.

والرابع: تمكنه في اللغة العربية ومعرفة آدابها وخصائصها وأساليبها. الخامس: عدم تجرحه من الاجتهاد. السادس: تفرغه لنشر العلم وانقطاعه للدعوة والتعليم. والسابع: تأخر الزمان به حتى اشتدت حاجة الناس إلى الأخذ عنه. والثامن: ما امتاز به من قريحة وقادة وعقل راجح وإيمان راسخ.[٣٥]

هو ترجمان القرآن، وحبر الأمة ورئيس المفسرين. وكان يسمى البحر لكثرة علمه. قال السيوطي في الاتقان: ورد عن ابن عباس في التفسير مالا يحصى كثرة بروايات وطرق مختلفة. فمن جيدها طريق على بن أبي طلحة الهاشمي عنه. "وجميع ما نقل عنه في تفسير مختصر ممزوج، يسمى تفسير ابن عباس. وفيه روايات وطرق مختلفة. ولكن أحسن الطرق عنه طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه. واعتمد على هذه "البخاري" في صحيحه. ومن جيد الطرق طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء ن السائب. وأوهى طرقه طريق الكلبى عن أبي صالح. وكذلك طريق مقاتل بن سليمان. وطريق الضحاك ابن مزاحم الكوفي عن ابن عباس منقطعة. فإنه لم يلق ابن عباس رض.[٣٦]

وبالجملة فقد روى عن الشافعي انه قال: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير الا شبيه بمائة حديث. وقال مناع القطان: "فليس كل ما روى عن ابن عباس بالصحيح الثابت"[٣٧]

أشهر المفسرين من التابعين

بعد وفاة النبي صلعم انتقل بعض أصحابه إلى البلاد التي دخلت الإسلام. وهؤلاء قد حملوا معهم ما تعلموا من النبي صلعم. فتتلمذ عليهم كثير من التابعين. فقامت مدارس علمية. اشتهر بعضها

35 التفسير المأثور ومناهج المفسرين فيه ص ٥٠ - ٥٢
36 مناع القطان ص ١٧٤
37 المصدر السابق ص ١٧٥

بالتفسير. فكانت مدرسة التفسير بمكة، ومدرسة التفسير بالمدينة، ومدرسة التفسير بالعراق وهكذا. واشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة، مجاهد، وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وطاووس بن كيسان اليماني وغيرهم.

مجاهد بن جبر

هو أوثق من روى عن ابن عباس رض. ولهذا اعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من اقطاب العلم وائمة الدين. أخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي بكر الحنفي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك. وقال الفضل بن ميمون. سمعت مجاهدا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وعنه أيضا: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات. أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيم نزلت، وكيف كانت. ولا تعارض بين هاتين الروايتين، فالأخبار بالقليل لا ينافي الأخبار بالكثير. ويحتمل أن عرضه القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة كان طلبا لضبطه وتجويده وحسن أدائه. وأما عرضه إياه ثلاث مرات فكان طلبا لتفسيره. ومعرفة اسراره وحكمه وأحكامه كما يدل عليه قوله "اقف عند كل آية منه أسألها"[38].

وروى مجاهد عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادلة الأربعة وعائشة وأم سلمة وأبي هريرة والعبادلة الأربعة وسراقة بن مالك وخلق كثير. وروى عنه عطاء، وعكرمة وقتادة وآخرون.

إنه ولد سنة ٢١هـ ومات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة. منزلته: ومجاهد رأس المفسرين من طبقة التابعين حتى قيل: إنه كان أعلمهم بالتفسير. وقال أبو حاتم. "مجاهد لم يسمع عن عائشة رض. حديثه عنها مرسل. وقال مجاهد عن سعد ومعاوية، وكعب بن عجرة مرسل. قال يحيى القطان: مرسلات مجاهد أحب إلي من مرسلات عطاء. قال ابن سعد: كان مجاهد ثقة فقيها عالما كثير الحديث. وقال ابن حيان: كان فقيها ورعا عابدا متقنا. وقال الذهبي: اجمعت الأمة على إمامة مجاهد، والاحتجاج به وإذا كان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. فليس معنى هذا "أن نأخذ كل ما جاء عن مجاهد. فإنه كغيره من الرواة الذين نقل عنهم. وقد يكون من النقلة عنه الضعيف الذي لا يوثق به فلا بد 'التحرى' وثبوت سلامة السند. شأنه في ذلك شأن ابن عباس فيما روى عنه[39].

---

[38] مناهل العرفان ٢: ١٨ – وراجع أيضا مناع القطان ص ١٨٥ و١٨٦

[39] مناع القطان ص ١٧٦

شروط المفسر

وقد ذكر العلماء للمفسر شروطا. ومنها:

١) صحة الاعتقاد، فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها. وكثيرا ما تحمل صاحبها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار، وتأويل الآيات التي تخالف عقيدته.

٢) التجرد من الهوى. فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم. فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان. كذنب طوائف القدرية والرافضة والمعتزلة وغيرهم.

٣) أن يبدأ أولا بتفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل منه في موضع فإنه قد فصل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر.

٤) أن يطلب التفسير من السنة شارحة للقرآن موضحة له.

٥) فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة. فإنهم أدري بذلك.

٦) فإذا لم يجد التفسير في القرآن، ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، فقد رجع إلى أقوال التابعين كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء ابن أبي رباح، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب وقتادة وغيرهم.

٧) العلم باللغة العربية وفروعها. فإن القرآن نزل بلسان عربيّ مبين. قال مجاهد في ذلك. "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب.

٨) العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن كعلم القراءة وعلم التوحيد وعلم أصول التفسير، كمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ الخ.

٩) دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.[40].

---

[40] مناع القطان ص ١٦٤و١٦٥

قيمة التفسير بالأثر

إن التفسير بالأثر يتناول ما كان تفسيرا للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيرا له بالسنة. وما كان تفسيرا له موقوفا على الصحابة والتابعين. أما تفسير بعض القرآن بالقرآن فلا خلاف في قبوله والأخذ به.

أما تفسير القرآن بالسنة، فإن كان مما لا تصح نسبته إلى النبي صلعم فهو مردود غير مقبول. وإن مما ثبت صحته عن النبي صلعم فلا خلاف في قبوله والثقة به. وها هي الكتب المبينة بين أيدينا قد تميز فيها الصحيح من غيره. ومن السهل على من يريد معرفة الصحيح، أن يذهب إليه في مصادره ومواضعه.

وأما تفسير الصحابة فإن كان مما يرجع إلى أسباب النزول وما ليس للرأي فيه مجال، فله حكم المرفوع حيث يقبل ويطمئن إليه. وإن كان مما للرأي فيه مجال فقد اختلف فيه. وأما أقوال التابعين في التفسير فإن كان مما تلقوه عن الصحابة فيعتبر من المأثور. ومنهم من اعتبره من التفسير بالرأي.

ومن الواضح أن ما نقل عن الصحابة في تفسير القرآن كثير منه تلقوه من الرسول صلعم، وبعض منه عن اجتهاد واستنباط. ولهم من سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم وتمكنهم من لغة العرب وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله عز وجل.

ونرى أن التابعين الذين تصدوا لتفسير القرآن قد رووا ما تجمع لديهم من ذلك عن رسول الله صلعم وعن الصحابة. وزادوا على ذلك اجتهادهم واستنباطهم. لأنهم كانوا على جانب كبير من العلم لأخذهم عن الصحابة ولسلامة سليقتهم العربية التي اعانتهم على الاجتهاد. وهم وإن كانوا قد رجعوا في بعض أقوالهم وآرائهم إلى أهل الكتاب المسلمة. فذلك مما يؤخذ عليهم.[41]

الاختلاف في التفسير بالأثر

والتفسير بالأثر يدور على رواية ما نقل عن صدر هذه الأمة. وكان الاختلاف بينهم قليلا جدا، بالنسبة إلى ما بعدهم. وقال ابن تيمية "والخلاف بين السلف في التفسير قليل. وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوّع، لا اختلاف تضاد. وذلك نوعان.

---

[41] التفسير بالمأثور ص ٤٦- ٤٥

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى، كتفسيرهم "الصراط المستقيم". قال بعضهم: القرآن أي اتباعه؛ وقال بعضهم الإسلام. فالقولان متفقان. لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن. ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر.

وثانيهما: أن يذكر كل منهما من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع. ومثاله ما نقل في قوله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات [فاطر ٣٢] قيل: السابق: الذي يصلي في أول الوقت. والمقتصد: الذي يصلي في أثنائه. والظالم لنفسه: الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار. وقيل السابق: المحسن بالصدقة مع الزكاة. والمقتصد: الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط. والظالم: مانع الزكاة.

وقد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ الأمرين كلفظ "عسعس" الذي يراد به اقبال الليل وادباره. أو لأن الألفاظ التي عبر بها عن المعاني متقاربة. كما إذا فسر بعضهم "تبسل" بتحبس؛ وبعضهم "يتبرهن" لأن كلا منهما قريب من الآخر[٤٢].

حكم التفسير بالأثر

التفسير بالأثر هو الذي يجب اتباعه والأخذ به. لأنه طريق المعرفة الصحيحة. وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله. وقد روى عن ابن عباس رض إنه قال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها؛ وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله.

فالذي تعرفه العرب هو الذي يرجع إلى لسانهم ببيان اللغة، والذي لا يعذر أحد بجهله هو ما يتبادر فهم معناه إلى الأذهان من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد. ولا لبس فيها. فكل امرئ يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" وإن لم يعلم أن هذه العبارة وردت بطريق النفي والاستثناء. فهي دالة على الحصر؛ وإما ما لا يعلمه إلا الله فهو المغيبات كحقيقة قيام الساعة وحقيقة الروح.

---

[42] مناع القطان ص ١٨٣ - ١٨٤

وأما ما يعلمه العلماء فهو الذي يرجع إلى اجتهادهم المعتمد على الشواهد والدلائل دون مجرّد الرأي، من بيان مجمل أو تخصيص عام أو نحو ذلك[43].

التفسير بالرأي

هو ما يلجأ فيه المفسر إلى الاعتماد في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد. وليس منه الفهم الذي يتفق مع روح الشريعة، ويستند إلى نصوصها. فالرأي المجرد الذي لا شاهد به مدعاة للشطط في كتاب الله. وأكثر الذين تناولوا التفسير بهذه الروح كانوا من أهل البدع الذين اعتقدوا مذاهب باطلة. فتأولوا القرآن على رأيهم. وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم. وصنفوا تفاسير على أصول مذهبهم كتفسير ابن كيسان، والجبائي، والزمخشري وأمثالهم. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس مذهبه في كلام يروج على كثير من الناس، كما صنع صاحب الكشاف في اعتزالياته؛ فمنهم فرقة من أهل الكلام أوّلت آيات الصفات بما يتفق مع مذهبها. وهؤلاء أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة. إلا أنهم يعدون من أهل البدع.

حكم التفسير بالرأي

تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل حرام. لا يجوز تعاطيه. قال تعالى: ولا تقف ما ليس لك به علم [الإسراء ٣٦]. وقال النبي صلعم: "من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فيتبوأ مقعده من النار". وفي رواية أخرى "من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ". وفي لفظ آخر "من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد اخطأ". ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به.

وكان سعيد بن المسيب إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئا. فهذه الآثار المتقدمة تدل على تخرج السلف عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه. وروي عن أئمة السلف أقوال في التفسير لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه. وهذا هو الواجب على كل إنسان.

---

[43] مناع القطان ١٨٤- ١٨٥

قال ابن تيمية: وفي الجملة "من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطأ، بل مبتدعا. لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله صلعم."[44]

تفسير المتصوفة

وهناك نوع من التفسير. وهو تفسير المتصوفة هؤلاء يفسرون القرآن مدعين أن نصوصه ليست على ظواهرها. وذلك ليس بتفسير ومنهم من يدعي إن آيات القرآن فيها اشارات خفية إلى دقائق تظهر لأرباب السلوك. وقد يكون لبعض ذلك الكلام وجه، إذا كان المعنى صحيحا. وجاء موافقا لما تهدف إليه الآية. وقال ابن القيم "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ. وهو الذي ينحو إليه المتأخرون. وتفسير على المعنى. وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة. وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم. وهذا لا بأس به بأربعة شروط.

١- أن لا يناقض معنى الآية ٢- وأن يكون معنى صحيحا في نفسه

٣- وأن يكون في اللفظ أشعار به ٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا[45].

وفي عبارة أخرى نستطيع ان نقول: التصوف الدي يتفق مع الإسلام هو الذي لا ينكر أصلا من أصوله ولا فرعا من فروعه. فلا يجوز أن يصل إلى الغاء الشريعة في طور من أطواره. وعلى ذلك أسس أوائل المتصوفة مذاهبهم. وهؤلاء يوفقون بين الشريعة والحقيقة توفيقا لا يبطل أحدهما. أما من يتخذون التصوف سلما لإنكار الشريعة فهم من الملاحدة. وقد أنكرت الأمة مذاهبهم، وعوقبوا عليها كما حصل مع الحلاج وغيره[46].

---

[44] مناع القطان ص ١٨٦-١٨٧

[45] مناع القطان ص ١٨٧

[46] راجع مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر – ترجمة عبد الحليم النجار ص ٢٠٢

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالأثر

١- تفسير ابن عباس [مختصر ممزوج]

٢- تفسير ابن عيينة

٣- تفسير ابن أبي حاتم

٤- تفسير ابن عطية

٥- تفسير الحافظ ابن كثير

٦- تفسير ابن جرير الطبري – جامع البيان في تفسير القرآن

٧- تفسير ابن أبي شيبة

٨- تفسير البغوي- معالم التنزيل

٩- تفسير الشوكاني – فتح القدير

١٠- تفسير أبي الشيخ ابن حيان

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي

١- تفسير عبد الرحمن ابن كيسان

٢- تفسير الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل

٣- تفسير أبي علي الجبائي

٤- تفسير النسفى

٥- تفسير ابن فورك

٦- تفسير الآلوسي – روح المعاني

٧- تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن

٨- تفسير فخر الدين الرازي – مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير

٩- تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل

١٠- تفسير الجلالين، من أوله إلى سورة الإسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي؛ بعد موته كمله المتبحر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

طبقات المفسرين

تحدثنا في الأبواب السابقة عن أنواع التفسير وعن أشهر المفسرين من الصحابة والتابعين. والآن نريد أن نذكر هنا عن طبقاتهم وطبقات سائر المفسرين.

١- المفسرون من الصحابة

ومنهم الخلفاء الأربعة ثم ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وابن الزبير وأنس بن مالك وأبو هريرة وجابر وعبد الله بن عمرو ابن العاص رض. وقلنا أن أكثر من روى عنه من الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب رض والرواية عن الثلاثة نزرة جدا وذكرنا السبب في ذلك. وأما عبد الله بن مسعود فروى عنه أكثر مما روى عن عليّ رض وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال: "والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته".

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء المتقدم ذكرهم شيء من التفسير. لكن قليل وهنا جدير بالذكر ان أبيّ بن كعب رض احد كتاب الوحي كان من المكثرين المبرزين في التفسير كما اشتهر في القراءة.

٢- المفسرون من التابعين

يعتبر التابعون طبقات ثلاثا – طبقة أهل مكة وطبقة أهل المدينة وطبقة أهل العراق، أما طبقة أهل مكة فقد كانوا أعلم الناس بالتفسير كما قال ابن تيمية "أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب عبد الله بن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاووس. تحدثنا عن مجاهد في باب متقدم.

وأما عطاء وسعيد فقد كان كل منهما ثقة ثبتا في الرواية عن ابن عباس. "خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد ابن جبير، ومجاهد وعكرمة والضحاك". هكذا قال سفيان الثوري. وقال قتادة: أعلم

التابعين أربعة، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير. وقال أبو حنيفة: ما لقيت أحدا أفضل من عطاء[47].

وأما عكرمة مولى ابن عباس فقد قال الشافعي فيه: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وأما طاووس بن كيسان فقد كان من رجال العلم والعمل. وأدرك من أصحاب النبي صلعم نحو الخمسين. ورد أنه حج بيت الله الحرام أربعين مرة. قال فيه ابن عباس: إني لأظن طاووسا من أهل الجنة"[48].

ومن طبقة أهل المدينة زيد بن أسلم ومالك بن أنس امام دار الهجرة، وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظي الذي قال فيه ابن عون. ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي.

ومن طبقة أهل العراق، المفسرون الكوفيون والبصريون منهم مسروق بن الأجدع. كان ورعا زاهدا صحب ابن مسعود وكان ثقة. وكان القاضي شريح يستشيره في معضلات المسائل ويروي عنه لصدق روايته وأمانته.

ومنهم قتادة بن دعامة. شهد له ابن سيرين بالضبط والحفظ. وقد أحتج به أرباب الكتب الصحيحة.

ومنهم عطاء بن أبي مسلم الخراساني. أصله من البصرة ودخل خراسان. وكان من أجلاء العلماء.

ومنهم مرة الهمذاني الكوفي. لكثرة عبادته قيل له: مرة الطيب، ومرة الخير. أخذ عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وغيرهما. وروى عنه الشعبي وغيره.

هؤلاء هم أعلام المفسرين من التابعين. استمدوا آراءهم وعلومهم مما تلقوه من الصحابة رض.

ومنهم الحسن البصري والضحاك بن مزاحم والربيع ابن أنس والسدى وغيرهم.

٣- وبعد هذه الطبقة طبقة أخرى. هم الذين صنف كثير منهم كتب التفاسير التي تجمع أقوال الصحابة والتابعين، كسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح وشعبة ابن الحجاج، ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وآدم بن أبي اياس واسحاق بن راهويه، وعبد بن حميد وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين.

---

[47] مناهل العرفان ٢: ١٨

[48] المصدر السابق ٢: ١٩

٤- ثم بعد هؤلاء طبقات أخرى. منها علي بن أبي طلحة وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم، وابن ماجة، والحاكم وابن مردويه وأبو الشيخ ابن حيان وابن المنذر، وكل هذه الطبقات مسندة إلى الصحابة والتابعين واتباعهم.

٥- ثم جاءت طبقة بعدهم. صنف هؤلاء تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد. مثل أبي اسحاق الزجاج وأبي علي الفارسي وأبي بكر النقاش وابن جعفر النحاس.

٦- ثم ألف في التفسير طائفة من المتأخرين. فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال. فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل.

٧- ثم صار من سنح له قول يورده. ومن خطر بباله شيء يعتمده. ثم ينقل ذلك عنه من يجيئ بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح. ومن هم القدوة في هذا.

قال السيوطي: رأيت في تفسير قوله تعالى: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" نحو عشرة أقوال. مع أن الوارد عن النبي صلعم وجميع الصحابة والتابعين ليس غير اليهود والنصاري حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافا من المفسرين.

٨- صنف بعد ذلك قوم: برعوا في شيء من العلوم. منهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر على ما تمهر هو فيه. كأن القرآن نزل لأجل هذا العلم لا غير.

فالنحويّ نراه ليس له هم إلا الأعراب، وتكثير أوجه المحتملة فيه، وينقل قواعد النحو ومسائله وخلافياته، والأخباري همه القصص والأخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة ومنهم الثعلبي. والفقيه يتحدث فيه الفقه ويورد الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية أصلا. ومنهم القرطبي.

وصاحب العلوم العقلية مثل فخر الدين الرازي قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، أنه خرج من شيء إلى شيء. حتى قال أبو حيان: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير. ولذا قال بعض العلماء فيه كل شيء إلا التفسير.

والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد. ونقل عن البلقيني أنه قال: في قوله تعالى: "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز" [آل عمران ١٨٥] أيّ فوز أعظم من دخوله الجنة؟ أشار به إلى عدم الرؤية. وهكذا الحال بالنسبة إلى الملحدين.

ومما تقدم نعرف أن هؤلاء المفسرين بذلوا جهودهم الجبارة عبر القرون في إيضاح معاني القرآن فأصبح هذا العمل خدمة جليلة لإعلاء كلمة الله في الآفاق. وهكذا وصل إلينا دين الله وكتابه وعلومه ومعارفه سليمة كاملة عن طريق التلقى والتلقين جيلا عن جيل مصداقا لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [الحجر ٩]، ولقوله صلعم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[٤٩].

تراجم لبعض مشاهير المفسرين

١- محمد بن جرير الطبري وتفسيره جامع البيان

نسبه وحياته:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، أبو جعفر الطبري الآملى الأصل، البغدادي. ولد بطبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة. ورحل من بلده في طلب العلم وطوف في الأقاليم. فسمع بمصر والشام والعراق. ثم ألقى عصاه واستقر ببغداد وتوفي سنة ٣١٠هـ.

مبلغه من العلم:

كان أحد أئمة الأعلام. يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالقرآن، عارفا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها. وصحيحها وسقمها وناسخها ومنسوخها وعارفا بأقوال الصحابة والتابعين وعارفا بأيام الناس وأخبارهم.

وقد اعتبر أبا للتفسير كما اعتبر ابا للتاريخ الإسلامي إنه كان من أئمة المجتهدين. لم يقلد أحدا. يعتبر تفسيره من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي والتفسير العقلي، نظرا لما فيه من الاستنباط وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ترجيحا يعتمد على النظر العقلي والبحث الحر الدقيق[٥٠].

---

[49] مناهل العرفان ٢: ١٩-٢٠

[50] التفسير والمفسرون ١: ٢٠٧

طريقته في تفسيره :

إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول: القول في قوله تعالى كذا وكذا. ثم يفسر الآية. ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية. وإذا كان في الآية قولان أو أكثر فإنه يعرض لكل ما قيل فيها ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين. ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية. بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض كما نجده يتعرض لناحية الأعراب إن دعت الحال إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار.

موقفه من الإجماع:

وهو يقدر اجماع الأمة ويعطيه سلطانا كبيرا في اختيار ما يذهب إليه من التفسير. وكذلك نجده يعني بذكر القراءات وينزلها على المعاني المختلفة.

موقفه من الاسرائيليات:

وإنه يأتي في تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلي، يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه وابن جريح والسدى وغيرهم. ولعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة[51].

انصرافه عما لا فائدة فيه:

وكان ابن جرير لا يهتم في تفسيره بالأمور التي لا تغني ولا تفيد. وإنه يعتبر الاستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة، ويجعلها مرجعا موثوقا به عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها، وترجيح بعض الأقوال على بعض. فمثلا: أنه عند تفسيره الآية ٤٠ من سورة هود "حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين... الآية. نراه يعرض لذكر الروايات عن السلف في معنى لفظ التنور. فيروي لنا قول من قال: ان التنور عبارة عن وجه الأرض. وقول من قال: أنه عبارة عن تنوير الصبح، وقول من قال، إن التنور هو أعلى الأرض وأشرفها. وقول من قال: إنه عبارة عما يختبز فيه ... ثم يقول بعد أن يفرغ من كلامه هذا كله وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله

---

51 التفسير والمفسرون ١: ٢١٥

التنور" قول من قال: التنور: الذي يختبز فيه. لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب.

وكذلك نجده إنه يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع متبعاً في هذا ما إثاره ابن عباس في ذلك.

اهتمامة بالمذاهب النحوية:

إنه يتعرض كثيرا لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف. ويوجه الأقوال تارة على المذهب البصري وأخرى على المذهب الكوفي.

معالجته للأحكام الفقهية:

ونراه يعالج في تفسيره أحكام العلماء ومذاهبهم ويخلص من ذلك كله برأي يختاره لنفسه ويرجحه بالأدلة العلمية القيمة.

ابن جرير ومسائل الكلام

ونجده يتعرض لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن. وهذا يدل على أنه كان عالما ممتازا في أمور العقيدة. وإذا ناقش بعض الآراء الكلامية، جاد في مناقشته. وهو في جدله كله موافق لأهل السنة في آثارهم ونراه يتصدى للرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الانتقادية.

وبعد، فإن ما جمعه ابن جرير في كتابه من أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه، وما نقله لنا عن مدرسة ابن عباس ومدرسة ابن مسعود ومدرسة علي بن أبي طالب. ومدرسة أبي بن كعب وما استفاده مما جمعه ابن جريج والسدى وابن اسحاق وغيرهم من التفاسير، جعلت هذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور، وهو المرجع الأصيل للمفسرين بالأثر. وأنه يورد التفسير مسندا إلى الصحابة والتابعين واتباعهم. ويتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، وقد أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله. ويمتاز ابن جرير بالاستنباط الرائع والإشارة إلى ما خفي في الإعراب.

والخلاصة أن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأولية بين كتب التفسير، أولية زمنية وأولية من ناحية الفن والصناعة. وأما أوليته الزمنية فلانه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا. وما

سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن. ولم يصل إلينا شيء منها. اللهم إلا ما وصل إلينا منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذي نحن بصدده.

وأما أوليته من ناحية الفن والصناعة، فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها صاحبها.[٥٢]

تصانيفه:

١- جامع البيان في تفسير القرآن

٢- تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم

٣- الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة

٤- تاريخ الرجال

٥- اختلاف الفقهاء

٦- تهذيب الآثار

٧- كتاب البسيط في الفقه

٨- الجامع في القراءات

٩- كتاب التبصير في الأصول

٢- الزمخشري وتفسيرة الكشاف

مولده ونشأته:

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الإمام الحنفي المعتزلي الملقب بجار الله. ولد في رجب سنة ٤٦٧ بزمخشر قرية من قرى خوارزم. وقدم بغداد ولقي الكبار من العلماء وأخذ عنهم، ودخل خراسان مرارا. ولقد عظم صيته وطار ذكره حتى صار أمام عصره. وهو الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب. وصاحب التصانيف البديعة في شتى العلوم. ولقب بجار الله لأنه كان سائرا إلى مكة وجاور بها زمانا حتى عرف بهذا اللقب. واشتهر به كأنه علم عليه.

---

52 التفسير والمفسرون ١: ٢٠٩ - ٢١٠

تفسيره الكشاف:

هذا الكتاب واحد في بابه، وعلم شامخ في نظر علماء التفسير وطلابه. ولقد اعترف له خصومه بالبراعة وحسن الصناعة. وأن أخذوا عليه بعض المآخذ التي يرجع اغلبها إلى ما فيه من ناحية الاعتزال[٥٣].

يقول هو عن تفسيره هذا:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

"وليس عجيبا أن يكون الكشاف – وهو أول كتاب في التفسير كشف لنا على سرّ بلاغة القرآن. وابان لنا عن وجوه اعجازه، وأوضح لنا عن دقة المعنى الذي يفهم من التراكيب اللفظي. كل هذا في قالب أدبي رائع وصوغ انشائي بديع لا يتفق لغير الزمخشري أمام اللغة وسلطان المفسرين[٥٤].

وهذا التفسير لا يمكن الاستغناء عنه في بيان الأقوال الكثيرة لقدماء المعتزلة. وقد اعترف به الأصدقاء والخصوم على السواء، ككتاب أساسي للتفسير. ويعتبر الكشاف القمة العالية للتفسير الاعتزالي، لأنه الكتاب الوحيد من تفاسير المعتزلة الذي وصل إلينا متناولا للقرآن كله وشاملا للأفكار الاعتزالية التي تتصل بالقرآن الكريم، باعتباره أصل العقيدة ومعتمد ما يتشعب عنها من آراء وأفكار.[٥٥]

علمه ومؤلفاته:

والزمخشري امام من أئمة اللغة والمعاني والبيان. وكثيرا ما يجد القارئ في كتب النحو والبلاغة استشهادات له من كتبه للاحتجاج بها. فيقولون: قال الزمخشري في كشافه؛ أو في أساس البلاغة، وهو صاحب رأي وحجة في كثير من مسائل العربية. وليس من هؤلاء النفر الذين ينهجون

---

53 التفسير والمفسرون ١: ٤٣٥

54 المصدر السابق ١: ٤٤٢

55 التفسير والمفسرون ١: ٤٤٣

نهج غيرهم فيجمعون وينقلون. ولكنه صاحب رأي يقتفي غيره أثره وينقل عنه. وله تصانيف في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان، وغير ذلك منها كتابه في التفسير[٥٦].

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

٢- الفائق في تفسير الحديث

٣- المنهاج في الأصول

٤- المفصل في النحو

٥- أساس البلاغة في اللغة

٦- رؤوس المسائل الفقهية

٧- المفرد والمركب في العربية

أثره بين المفسرين:

ولا شك فإن كل من جاء بعد الزمخشري من المفسرين حتى من أهل السنة استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه. فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه الزمخشري في كشافه من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى. واعتمدوا ما نبه عليه الزمخشري من نكات بلاغية تكشف عما دق من براعة نظم القرآن وحسن أسلوبه.

موقفه من الإسرائيليات:

إنه مقلّ من ذكر الروايات الإسرائيلية. وما يذكره من ذلك إما أن يصدره بلفظ "روى" المشعر بضعف الرواية وبعدها عن الصحة. وأما أن يفوض علمه إلى الله في الغالب يكون عند ذكره الروايات التي لا يلزم من التصديق بها مساس بالدين. وأما أن ينبه على درجة الرواية ومبلغها من الصحة أو الضعف ولو بطريق الأجمال. وهذا في الغالب يكون عند الروايات التي لها مساس بالدين، وتعلق به[٥٧].

---

[56] مناع القطان ص ١٨٠

[57] التفسير والمفسرون ١: ٤٧٧-٤٧٦

ميزة تفسير الكشاف:

يعد الزرقاني في كتابه مناهل العرفان بعض مزايا الكشاف. ومنها خلوه من الحشو والتطويل؛ ومنها: سلامته من القصص والإسرائيليات؛ ومنها: اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم؛ ومنها: عنايته بعلمي المعاني والبيان والنكات البلاغية، تحقيقا لوجوه الإعجاز؛ ومنها سلوكه فيما يقصد إيضاحه طريق السؤال والجواب كثيرا. ويعنون السؤال بكلمة "إن قلت" بفتح التاء. ويعنون الجواب بكلمة "قلت" بضم التاء.

وجدير بالذكر أنه يؤول الآيات وفق مذهبه وعقيدته بلحن لا يدركه إلا الخاصة، ويسمى المعتزلة اخوانه في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية.

وإليك مواضع من كتابه ينحو فيها نحو الاعتزال ويقرر عقيدة القول بالمنزل بين المنزلتين. وبأن أفعال العباد مخلوقة لهم، وبأن رؤية الله في الدار الآخرة مستحيلة.

١- يقول عند تفسيره قوله تعالى: "والذين يؤمنون بالغيب [البقرة: ٣] فإن قلت: ما الإيمان الصحيح؛ قلت أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدق بعمله. فمن أخلّ بالاعتقاد، وإن شهد وعمل فهو منافق. ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر. ومن اخل بالعمل فهو فاسق. فأنت تراه فسر الإيمان بما يثبت به المنزلة بين المنزلتين. وهي منزلة الفاسق بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر. فينفى الإيمان عن سليم العقيدة ما دام أنه اخل بواجب العمل.

٢- ويقول في تفسيره قوله تعالى "ومما رزقناهم ينفقون" [البقرة: ٣] ما نصه: وإسناد الرزق إلى نفسه للأعلام بأنهم ينفقون: الحلال المطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله. وهذا منه إيماء ورمز إلى أن الرزق الحلال من الله، وأن الرزق الحرام من العبد.

٣- ويقول في تفسير قوله تعالى: ختم الله على قلوبهم [البقرة: ٧] فإن قلت لم أسند الختم إلى الله تعالى؟ وأسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه. وهو قبيح. والله تعالى منزه عن فعل القبيح، بدليل "وما أنا بظلام للعبيد [سورة ق: ٢٩] وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون [الزخرف ٧٦]، إن الله لا يأمر بالفحشاء [الأعراف ٢٨] الخ ما قال: ثم أول اسناد الختم إلى

الله بأن الكلام استعارة أو مجاز على معنى أن الشيطان هو الخاتم أو الكافر وأسند إلى الله تعالى لأنه هو الذي أقدره ومكنه[58].

ورثاه بعضهم بأبيات منها:

فارض مكة تذري الدمع مقلتها حزنا لفرقة جار الله محمود

٣- فخر الدين الرازي – وتفسيره مفاتيح الغيب

هو محمد بن عمر بن الحسن التميم البكري الطبرستاني الرازي فخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعي الفقيه. ولد بالريّ سنة ٥٤٣هـ، وتوفي سنة ست وستمائة ودرس العلوم الدينية والعلوم العقلية فتعمق في المنطق والفلسفة، وبرز في علم الكلام. وله في هذا كله الكتب والشروح والتعليقات، حتى عدوه من فلاسفة عصره. ولا تزال كتبه مراجع هامة للعلماء.

تصانيفه: وللرازي تصانيف عديدة. منها مفاتيح الغيب في تفسير القرآن. وأسرار التنزيل وأنوار التأويل. وأحكام الأحكام. والمحصل في أصول الفقه؛ والبرهان في قراء القرآن. ودرة التنزيل، وغرة التأويل في الآيات المتشابهات. وشرح الإشارات. والتنبيهات لابن سينا. وابطال القياس. وشرح القانون لابن سينا. وكتاب الملل والنحل. ورسالة الجوهر. ورسالة الحدوث. وشرح المفصل للزمخشري. ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين في علم الكلام وغيرها[59].

كان فريد عصره، ومتكلم زمانه جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها. وكان إماما في التفسير والكلام والعلوم العقلية وعلوم اللغة. وله فوق شهرته العلمية شهرة كبيرة في الوعظ.

تفسيره: وقد أثرت العلوم العقلية على الرازي في تفسيره. فمزجه بخليط من الطب والمنطق والفلسفة والحكمة. وخرج به عن معاني القرآن وروح آياته. وحمل نصوص الكتاب ما لم تنزل له من مسائل العلوم العقلية واصطلاحاتها العلمية. ففقد كتابه بهذا روحانية التفسير وهداية الإسلام. ولذلك قال بعض العلماء" فيه كل شيء إلا التفسير"[60].

---

58 مناهل العرفان ٢: ٦١- ٦٠

59 راجع مناع القطان ١٧٨-١٧٩

60 المصدر السابق ١٧٩

يقول ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان "إن الرازي لم يتم تفسيره هذا. إذا فمن الذي أكمل هذا التفسير؟ وإلى أي موضع من القرآن وصل الفخر الرازي في تفسيره؟ هذه مشكلة لم نوفق إلى حلها حلا حاسما. اختلف العلماء في هذا الموضوع. يقول الذهبي"إنه كتب تفسيره هذا إلى سورة الأنبياء. فأتى بعده شهاب الدين الخوبي. فشرع في تكملة هذا التفسير. ولكنه لم يتمه. فأتى بعده نجم الدين القمولي. فأكمل ما بقي منه. كما يجوز أن يكون الخوبي أكمله إلى النهاية[٦١].

ثم إننا إذا قرأنا هذا التفسير لا نكاد نلحظ فيه تفاوتا في المنهج ولا في المسلك. بل نراه يجري من أوله إلى آخره على نمط واحد وطريقة واحدة. فلا نستطيع أن نميز بين الأصل والتكملة. وهذا التفسير يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم. ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول: إنه جمع فيه كل غريب وغريبة.[٦٢].

ويمتاز أيضا تفسير الرازي بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض. وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة. بل كثيرا ما يذكر أكثر المناسبات ويكثر من الاستطرادات إلى العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة، على ما كانت عليه في عهده كالهيئة الفلكية وغيرها. ويعرض كثيرا من أقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد.

موقفه من المعتزلة

إنه كسني يرى ما يراه أهل السنة. ويعتقد بكل ما يقررونه من مسائل علم الكلام. لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليها.

موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة

إنه عندما يفسر آية من آيات الأحكام يذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه لمذهب الشافعي بالأدلة والبراهين. كذلك نجده يستطرد لذكر المسائل الأصولية والمسائل النحوية والبلاغية ونجده عند تفسير الآيات أنه كان مولعا بكثرة الاستنباطات والاستطرادات. ومن عادته أنه يشرح فيها قواعد النحو مفصلا لأكثر ألفاظ القرآن ويقسم الآية أو الآيات إلى المباحث المتعلقة باللغة والإعراب وعلم الأصول والفروع. مثلا أنه حينما يخوض في تفسير سورة الفاتحة يقول: إن هذه السورة الكريمة

---

[61] التفسير والمفسرون ١: ٢٩٣

[62] المصدر السابق ١: ٢٩٣

يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسئلة.[٦٣] يقول الدكتور صبحى الصالح "والرازي في تفسيره يسلك مسلك الحكماء الإلهيين في الاستدلالات الكلامية المنطقية. ويعني ببحث الكونيات عناية خاصة. ويقسم الآية أو الآيات التي يكون بصدد تفسيرها إلى عدد من المسائل، ثم يسترسل في تأويلها مدافعا عن عقيدة أهل السنة والجماعة.[٦٤]

كما أنه سلك طريقة الطبيعيين في الكونيات فتكلم في الأفلاك وفي الابراج وفي السماء والأرض، وفي الحيوان والنبات، وفي أجزاء الإنسان، وغير ذلك مما جرّ إليه الاستدلال على وجود الله جل جلاله. غفر الله له وشكر منيعه، والله خير الشاكرين[٦٥].

وبالجملة فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي علوم الكون والطبيعة. إذ أن هذه الناحية غلبت عليه حتى كادت تقلل أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم. قال صاحب كشف الظنون. "إن الإمام فخر الدين الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضى الناظر العجب.

ونقل عن أبي حيان أنه قال في البحر المحيط "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير. ولذلك قال بعض العلماء "فيه كل شيء إلا التفسير"[٦٦] ويرد هذا القول أبو الحسن على السبكى حيث قال "وما الأمر كذلك، إنما فيه مع التفسير كل شيء"[٦٧].

٤- الآلوسي وتفسيره روح المعاني

هو أبو الثناء شهاب الدين، السيد محمود افندي آلوسي البغدادي ولد سنة ١٢١٧هـ في جانب الكرخ من بغداد. وآلوسي جزيرة في نهر الفرات كانت موطن أجداده.

كان رحمه الله شيخ العلماء في العراق. وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نوادر الأيام. جمع كثيرا من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول محدثا لا يجارى ومفسرا لكتاب الله لا يباري. أخذ العلم عن فحول العلماء. اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة. ودرس في عدة مدارس. وعندما قلد افتاء الحنفية شرع يدرس سائر العلوم في

---

63 التفسير والمفسرون ١: ٢٩٤
64 مباحث في علوم القرآن ٣٦٨
65 مناهل العرفان ٢: ٨٠
66 التفسير والمفسرون ١: ٢٩٦؛ وينسب هذا القول إلى ابن تيمية.
67 علم الأخلاق للرازي ص ٥، الترجمة الإنجليزية لصغير معصومي.

داره. وتخرج عليه جماعات من الفضلاء من بلاد مختلفة. وكان عالما باختلاف المذاهب مطلعا على الملل والنحل سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب. إلا أنه في كثير من المسائل يقلد الإمام الأعظم أبا حنيفة. وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد. ولقد خلف للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة.

وتفسيره روح المعاني جامع لآراء السلف رواية ودراية مشتمل على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية. فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير. فهو ينقل عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان والكشاف وأبي السعود والبيضاوي والفخر الرازي وغيرها من كتب التفسير المعتبرة.

وهو إذا نقل عن تفسير أبي السعود، يقول غالبا "قال شيخ الإسلام. وإذا نقل عن تفسير البيضاوي يقول غالبا قال القاضي. وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازي يقول غالبا، قال الإمام. وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حكما عدلا بينها. ويجعل من نفسه نقادا مدققا. ثم يبدي رأيه حرا فيما ينقل[٦٨].

والآلوسي سلفي المذهب سني العقيدة. ولهذا نراه كثيرا ما ينفد آراء المعتزلة والشيعة وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه.

الآلوسي والمسائل الكونية

ومن ميزة تفسيره أنه يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية. ويذكر كلام أهل الهيئة والكمة ويقر منه ما يرتضيه وما يوافقه. ويُفنّد ما لا يرتضيه وما لا يوافقه. ونرى هذه الميزة في كثير من تفسيره للآيات القرآنية التي تعالج بالأمور الطبيعية. وإذا أردت مثالا جامعا لهذا فاقرأ تفسيره لقوله تعالى في الآيات من سورة يس "والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم" الخ [الآيات ٣٨-٤٠].

وتلاحظ أيضا أنه يستطرد إلى الكلام في الصناعة النحوية. وكذلك نجده إذا تكلم عن آيات الأحكام يستوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه. ونجده أنه شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة التي حشابها كثير من المفسرين تفاسيرهم وظنوها صحيحة. وأحيانا نراه يسخر منه.

---

[68] التفسير والمفسرون ١: ٣٥٦

الآلوسي والتفسير الإشاري

ولم يفت الآلوسي أن يتكلم عن التفسير الإشاري بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات. ولذلك عد بعض العلماء تفسيره هذا في ضمن كتب التفسير الإشاري.

يقول صاحب التفسير والمفسرين عن هذا التفسير وجملة القول "فروح المعاني" للعلامة الألوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية قيمة، جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه مع النقد الحر والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة متزن في كل ما يقول فيه[٦٩].

ولنسمع ما يقول الزرقاني عن هذا التفسير: وهذا التفسير من أجل التفاسير وأوسعها وأجمعها. نظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة. وألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة.[٧٠]

ويقول الزرقاني أيضا "ومما قاله في التفسير الإشاري بعد أن فسر قوله تعالى:

"وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون [البقرة ٥٥] إلى آخر الآية. قال: ومن مقام الإشارة في الآيات "وإذ قلتم يا موسى" : القلب، لن نؤمن الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشهادة والعيان. فأخذتكم صاعقة الموت الذي هو الفناء في التجلي الذاتي، وأنتم تراقبون أو تشاهدون. ثم بعثناكم بالحياة الحقيقية. والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله وظللنا عليكم غمام تجلى الصفات لكونها حجبت شمس الذات .

ومثال آخر: تفسيره لقوله تعالى: وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون [البقرة ٦٣].

قال ما نصه "وإذ أخذنا ميثاقكم المأخوذ بدلائل العقل بتوحيد الأفعال والصفات، ورفعنا فوقكم طور الدماغ للتمكن من فهم المعاني وقبولهما. أو أشار سبحانه وتعالى بالطور إلى موسى القلب. وبرفعه إلى علوه واستيلائه في جوّ الإرشاد والشرائع، لكي تتقوا الشرك والجهل والفسق. ثم اعرضتم

---

[69] التفسير والمفسرون ١: ٣٦٢
[70] مناهل العرفان ٢: ٧١
[71] مناهل العرفان ٢: ٧١

بإقبالكم إلى الجهة السفلية بعد ذلك. فلولا حكمة الله بإمهاله وحكمه بأفضاله، لعاجلتكم العقوبة، ولحلّ بكم عظيم المصيبة[٧٢] ثم يورد الآلوسي بيتا

إلى الله يدعى بالبراهين من أبى فإن لم يجب، بادته بيض الصوارم

فهذه الإشارة إنما يعرفها ذو الوجد والمشاهدة، وهي لأصحابها رياض يانعة وأنوار لامعة.

٥- البيضاوي وتفسيره

هو قاضي القضاة ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشافعي. وهو من بلاد فارس. وقال السبكي: كان إماما مبرزا نظارا خيرا صالحا متعبدا. وقال ابن الحبيب: تكلم كل من الأئمة بالثناء على مصنفاته. وقال السبكي: إن البيضاوي توفي سنة ٦٩١هـ. وقال ابن كثير وغيره إنه توفي سنة ٦٨٥. ومن أهم مصنفاته "كتاب المنهاج وشرحه في أصول الفقه، وكتاب الطوالع في أصول الدين، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير.

وهذا التفسير تفسير متوسط الحجم. جمع فيه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية. وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة.

وقد اختصر تفسيره من الكشاف للزمخشري ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات. وإن كان أحيانا يذهب إلى ما يذهب إليه صاحب الكشاف. ومن ذلك انه عندما فسر قوله تعالى في الآية ٢٧٥ من سورة البقرة "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس" الآية، وجدناه يقول "إلا قياما كقيام المصروع. وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع... ثم يفسر المس بالجنون. ويقول وهذا أيضا من زعمائهم أن الحيّ يمس الرجل فيختلط عقله[٧٣].

ولا شك إن هذا موافق لما ذهب إليه الزمخشري من أن الجن لا تسلط لها على الإنسان إلا بالوسوسة. ونراه أيضا يورد في نهاية كل سورة حديثا ضعيفا. وذلك أنه وقع فيما وقع الزمخشري من ذكره في نهاية كل سورة حديثا في فضلها وما لقارئها من الثواب، والأجر عند الله. وهذه الأحاديث

---

[72] مناهل العرفان ٢: ٧١

[73] التفسير والمفسرون ١: ٢٩٧

موضوعة. ويرويها العلامة البيضاوي عند آخر كل سورة. وهذا لا يليق بعالم كالبيضاوي، له قيمته ومكانته.

وكذلك استمد البيضاوي تفسيره من التفسير الكبير للرازي ومن تفسير الراغب الأصفهاني، وضم لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين كما أنه أعمل فيه عقله فضمنه نكتا بارعة ولطائف رائعة واستنباطات دقيقة. كل هذا في أسلوب رائع موجز. وهو يهتم أحيانا بذكر القراءات، وكما أنه يعرض للصناعات النحوية. وكذلك نراه أحيانا يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية.

وكذلك نجده كثيرا ما يقرر مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقطة من نقط النزاع بينهم. فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة [الآية ٢-٤] هدى للمتقين الذين يؤمنون ... ينفقون". تراه يعرض لبيان معنى الإيمان والنفاق عند أهل السنة والمعتزلة والخوارج بتوسع ظاهر وترجيح منه لمذهب أهل السنة[٧٤].

وهو مقل جدا من ذكر الروايات الإسرائيليات وهو يورد الرواية بقوله: روى أو قيل أشعارا منه بضعفها.

ومن مزاياه إنه إذا عرض للآيات الكونية فإنه لا يتركها بدون أن يعرض في مباحث الكون والطبيعة. ولعل هذه الظاهرة سرت إليه من طريق التفسير الكبير للفخر الرازي الذي استمد منه.

ونراه أيضا أنه اختصر من تفسير الكشاف ولخص منه ضمن ما اختصره. ولخص من كتب التفسير الأخرى غير أنه ترك ما فيه من نزعات الضلال وشطحات الاعتزال.

ويقول: الإمام السيوطي "إن القاضي ناصر الدين البيضاوي لخص هذا الكتاب فأجاد، وأتى بكل مستجاد، وماز فيه أماكن الإعتزال وطرح موضع الدسائس وأزال وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكة نضار، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار[٧٥].

يقول حاجي خليفة عن هذا الكتاب "كتاب عظيم الشأن غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام؛ ومن

---

[74] التفسير والمفسرون ١: ٢٩٩
[75] التفسير والمفسرون ١: ٣٠٠

تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، وضم إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة. يقول محمد حسين الذهبي "وجملة القول فالكتاب من أمهات كتب التفسير التي لا يستغنى عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى ويقف على أسراره ومعانيه."[٧٦]

يقول الزرقاني "وأما تفسيرَ البيضاوي فهو كتاب جليل دقيق. جمع بين التفسير والتأويل على قانون اللغة العربية، وقرر الأدلة على أصول أهل السنة. وقد التزم أن يختم كل سورة بما يروى في فضلها من الأحاديث. غير أنه لم يتحرّ فيها الصحيح وأحسن حواشيه المتداولة حاشية الشهاب الخفاجي وإن كان له حواش أخرى كثيرة. منها حاشية سعدي افندي، وحاشية الروشني، وحاشية الششتري، وحاشية الشيرواني، وحاشية السمرقندي على تفسير الفاتحة، وحاشية الاسفراييني على جزء عمّ، وحاشية ابن أمير خان على سورة الملك[٧٧].

٦- القرطبي واتفسيره الجامع لأحكام القرآن

هو الإمام أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر. كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الزاهدين في الدنيا. وكانت أوقاته كلها معمورة بالتوجه إلى الله وعبادته تارة، وبالتصنيف تارة أخرى، حتى أخرج للناس كتبا، انتفعوا بها. ومن تصنيفاته تفسيره هذا، وشرح أسماء الله الحسنى. وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، وكتاب التذكرة بأمور الآخرة وغيرها.

هذا التفسير من أجل التفاسير وأعظمها نفعا. اسقط منها القصص والتواريخ. وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة. وذكر القراءات، والإعراب والناسخ والمنسوخ. ويذكر أسباب النزول، ويبين الغريب من ألفاظ القرآن، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب ويرد على المُعتزلة والقدرية والروافض والفلاسفة، وأنه ينقل عن السلف كثيرا مما أثر عنهم في التفسير والأحكام مع نسبة كل قول إلى قائله، كما ينقل عمن تقدمه في التفسير. ونقل كثيرا من تفسير ابن جرير الطبري وابن عطية وابن العربي وغيرهم.

---

[76] المصدر السابق ١: ١-٣

[77] مناهل العرفان ٢: ٥٧

انصاف القرطبي

ومن صفاته أنه لا يتعصب لمذهبه المالكي. بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه هو الصواب. فمثلا عندما تعرض لقوله تعالى "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين [سورة البقرة. الآية ٤٣] نجده يعرض لإمامة الصغير، ويذكر أقوال من يجيزها، ومن يمنعها. ويذكر إن من المانعين لها جملة – مالكا والثورى وأصحاب الرأي. ولكنا نجده يخالف أمامه، لما ظهر له من الدليل على جوازها. وذلك حيث يقول: قلت: امامة الصغير جائزة. إذا كان قارئا. ويذكر حديثا "ويروى البخاري عن عمرو بن سلمة في هذا الأمر[٧٨]".

ومما تقدم من البيان نرى أنه حرّ في بحثه نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله، ملمّ بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن يستطرد إليه ويتكلم فيه.

صفاته: امتاز القرطبي بصفات جعلت العلماء يذكرونه بأجلال. قال عنه حافظ عبد الكريم "كان شيخا فاضلا، وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه وعقله، فيها تفسير القرآن.

والمطلع على تفسير القرطبي يرى مبلغ ما بذله هذا الرجل من جهد وعناية في البحث والتحليل واستنباط الأحكام الشرعية من نصوص الكتاب الكريم. ويقف على ما يتمتع به من مقدرة فذة على فهم كتاب الله تعالى والمام عميق بأصول علوم الشريعة وفروعها ومعرفة واسعة بلغة العرب وآدابهم وأشعارهم.

منهج القرطبي في تفسيره

قد وضع القرطبي لنفسه منهجا في تفسيره هذا فهو يقول في مقدمة تفسيره. "وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفيها. فإنه يقال من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله. وكثيرا ما يجيئ الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهما لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرا لا يعرف الصحيح من السقيم.... ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الكتاب... واضرب عن كثير من قصص المفسرين واخبار المؤرخين إلا ما لا

---

78 التفسير والمفسرون ٢: ٤٦٠

بدّ منه، ولا غنى عنه للتبيين واعتضت من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها. فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين. فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم. فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل. وهكذا إلى آخر الكتاب[٧٩].

وهذا التفسير يعتبر من أهم المراجع في علم التفسير، نظرا لما يحويه من أحكام شاملة واستنباطات قويمة، وفوائد لغوية، وذكر للقراءات والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.

يقول القرطبي. وبعد فلما كان كتاب الله هو لكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن اشتغل به مدى عمري، واستفرغ فيه منّتي، بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير واللغات والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام، ونزول الآيات جامعا بين معانيها ومبينا ما أشكل منهما بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف، وعملته تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رمسي، وعملا صالحا بعد موتي. قال الله تعالى: ينبأ الإنسان بما قدم وآخر [القيامة ١٣] وقال تعالى: وعلمت نفس ما قدمت وأخرت [الانفطاره]. وقال النبي صلعم: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.[٨٠]

ومما يزيد قيمة هذا التفسير إن المصنف قد كتب فيه مقدمة طويلة نافعة. وأتى فيها بعدد من المعلومات والموضوعات التي تعالج بعلوم القرآن. ومنها ذكر جمل من فضائل القرآن، وكيفية التلاوة، واختلاف الناس فيها، وما جاء في اعراب القرآن، وتعليم الحث عليه، وما جاء في فضل تفسير القرآن واهله ومراتب المفسرين وباب تبيين الكتاب بالسنة، وباب معنى قول النبي صلعم "إن هذا القران انزل على سبعه احرف" وباب ذكر جمع القران، وسبب كتب عثمان رض المصاحف، واحراقه ما سواها، وباب ترتيب سور القران واياته وعدد حروفه، وباب ذكر نكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة، وحقيقتها، وباب ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القرآن وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان وغيرها.

---

[79] مقدمة تفسير القرطبي ١: ٧- ٦

[80] مقدمة تفسير القرطبي ١: ٦

ومن مصنفاته غير هذا التفسير

١- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى

٢- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة.

٣- التذكار في أفضل الأذكار.

٤- قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة.

٥- شرح التقصى. وله أرجوزة جمع فيها أسماء النبي صلعم. وتوفي رحمه الله في شوال سنة ٦٨١هـ.

٧- الشيخ طنطاوي جوهري وتفسيره

إنه ولد سنة ١٨٧٠ وتوفي سنة ١٩٤٠م. وكان مغرما بالعجائب الكونية معجبا بالبدائع الطبيعية مشوقا إلى ما في السماء من جمال وما في الأرض من بهاء وكمال ورأى أكثر العلماء عن تلك المعاني معرضين. فقليل منهم فكر في خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب. فدفعه ذلك إلى أن ألف كتبا كثيرة مزج فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية. ومن أهم هذه الكتب "نظام العالم والأمم" وجواهر العلوم، والتاج المرصع، وجمال العالم، والنظام والإسلام؛ والأمة وحياتها؛ وهذه الكتب لم تشف غليله ففسر القرآن تفسيرا ينطوي على كل ما وصل إليه البشر من علوم[٨١]

غرضه من تأليف هذا التفسير

وهذا التفسير اسمه "الجواهر في تفسير القرآن" أمله من وراء هذا التفسير أن يشرح الله به قلوبا، ويهدي به أمما فيفهموا العلوم الكونية. ورجا أن يؤيد الله هذه الأمة بهذا الدين وينسج على منواله المسلمون. وليولعن بالعجائب السماوية والبدائع الأرضية الشبان المسلمون الموحدون وليرفعن الله مدنيتهم إلى العلاء وليكونن واعيا حثيثا إلى درس العوالم العلوية والسفلية وليقومنّ من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة في الزراعة والطب والمعادن والحساب، والهندسة والفلك وغيرها من العلوم والصناعات.

---

81 التفسير والمفسرون ٢: ٥٠٥

مسلك المؤلف

وقد وضع المؤلف في تفسيره هذا ما يحتاج المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون. وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات في الحيوان والنبات والأرض والسماوات. ويقرر أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية. ويحث الطنطاوي المسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون ويحضهم أيضا على العمل بما فيها لأن يصبحوا فائقين في جميع المراحل في الحياة.

ومما يلفت انظارنا أن المملكة العربية السعودية قد صادرت هذا التفسير ولم تسمح بدخوله إلى بلادها.

منهجه في التفسير

إنه يفسر الآيات تفسيرا لفظيا مختصرا. لا يكاد يخرج عما في كتب التفسير المألوفة لنا، والمتداولة بين أيدينا. ولكنه سرعان ما يدخل في إبحاث علمية مستفيضة يسميها لطائف أو جواهر. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار علماء الشرق والغرب في العصر الحديث. أتى بها المؤلف ليبين للمسلمين ولغيرهم أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث. ونبه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون متطاولة[٨٢].

ونجده يضع لنا في تفسيره كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم بقصد توضيح الحقيقة أمام القارئ كالأمر المشاهد المحسوس. وكثيرا ما نراه يشرح الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون. في جمهوريته أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم مع أنها تخالف الثابت عن رسول الله صلعم. وإنا لنجده يفسر آيات القرآن تفسيرا علميا يقوم على نظريات حديثة وعلوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل.

مثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآيتين ٥ و٦ من سورة طه "الرحمن على العرش استوى. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى" نجده يقول: قوله "وما بينهما" دخل في ذلك عوالم الحساب والكهرباء وجميع العالم المسمى "الآثار العلوية". وهو من

---

[82] التفسير والمفسرون ٢: ٥٠٩

علوم الطبيعة قديما وحديثا. وقوله "وما تحت الثرى" يشير لعلمين لم يُعرفا إلا في زماننا. وهما علم طبقات الأرض، وعلم الآثار، فالله تعالى يقول هنا "وما تحت الثرى" ليحرص المسلمون على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى[٨٣].

ومثلا عند قوله تعالى في الآية ٣٠ من سورة الأنبياء "أولم ير الذين كفروا إن السموات والأرض كانتا رتقا... الآية يقول: ها أنت قد اطلعت على ما أبرزه القرآن قبل مئات السنين من أن السموات والأرض أي الشمس والكواكب، وما هي فيه من العوالم كانت ملتحمة، ففصلها الله تعالى. وقلنا أن هذه معجزة. لأن هذا العلم لم يعرفه الناس إلا في هذه العصور.

ولا شك أن هذا التفسير قد احتوى كثيرا من المعلومات المختلفة. وذلك في أسلوب سهل لذيذ. يقول الذهبي عنه هكذا: والكتاب موسوعة علمية ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازي. فقيل عنه – كما تقدم- "فيه كل شيء إلا التفسير" بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به. وإذا دل الكتاب على شيء فهو: أن المؤلف كان كثيرا ما يسبح في ملكوت السماوات والأرض بفكرة. ويطوف في نواح شتى من العلم بعقله وقلبه ليجلي للناس آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ثم ليظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمنا بكل ما جاء ويجيء به الإنسان من علوم ونظريات، وبكل ما اشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث تحقيقا لقول الله تعالى في كتابه "ما فرطنا في الكتاب من شيء" [سورة الأنعام. الآية ٢٧] وأكمل الذهبي قوله هذا هكذا: "ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده وانحراف به عن هدفه[٨٤].

وإذا تأملنا أقوال العلماء المحدثين عن هذا التفسير، نراهم أنهم لم يقفوا في هذا العصر الحاضر موقف الإجماع على قبول هذا اللون من التفسير، بل نراهم مختلفين في قبوله والقول به. ونجد بعض العلماء المعاصرين ينعون على من يأخذ بهذه الفكرة ويقول بها. ومن بين هؤلاء الشيخ محمود شلتوت، والأستاذ الشيخ أمين الخولي. وأمين الخولي يرد على أنصار هذا المذهب في التفسير، بحجج قوية واضحة.

وهذا هو المرحوم السيد محمد رشيد رضا عند كلامه عن تفسير الرازي يقول: وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن. هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها. وقلده

---

83 التفسير والمفسرون ٢: ٥١٣
84 التفسير والمفسرون ٢: ٥١٧

بعض المعاصرين بإيراد مثل هذا من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة. فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن.

وأخيرا فهذا هو شيخنا العلامة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغي، نجده في تقريظه لكتاب "الإسلام والطب الحديث" لا يرضى عن هذا المسلك في التفسير رغم أنه مدح الكتاب وأشاد بمجهود مؤلفه. وذلك حيث يقول: لست أريد من هذا- يعني ثناءه على الكتاب ومؤلفه – أن أقول: إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمي المعروف. وإنما أريد أن أقول: إنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته به ليبلغ درجة الكمال جسدا وروحا. وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا في الزمان الذي هم عائشون فيه[٨٥].

وفي موضع آخر يقول: يجب أن لا نجرّ الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية. ولكن أن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها.

ولا شك أن القرآن يحث على العناية بعلوم الكون ودراستها. فإن الآية ١٦٤ من سورة البقرة تبرز هذه الفكرة. "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخربين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون".

هذه الآية ومثلها كثير في القرآن – تقدم فرصة خاصة لتأكيد العناية بدراسة الطبيعيات والعلوم الكونية المختلفة. ومن هذا كله يتبين أن التفسير العلمي في العصر الحديث إن كان قد لقي قبولا ورواجا عند بعض العلماء، فإنه لم يلق مثل هذا القبول والرواج عند كثير منهم.

---

[85] التفسير والمفسرون ٢: ٥٠٩

٨- السيد محمد رشيد رضا وتفسيره المنار

هو عالم عربي هاجر من وطنه في سورية إلى مصر. يعد ترجمانا لمدرسة محمد عبده الدينية. وبعد ان نال دراسته في سوريا في مدرسة العالم الذاب عن الدين حسين الجسر المشهور بكتابه "الرسالة الحميدية الموسوم باسم سلطان عبد الحميد، وبعد ان استقر في مصر، صار التلميذ الخاص والصديق الحميم لمحمد عبده.

وكان معجبا بجريدة "العروة الوثقى" التي قام بإخراجها والكتابة فيها المصلح الكبير جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده. وهذه الجريدة قد أثرت فيه تأثيرا عميقا. ثم اتصل بمحمد عبده. فاقترح عليه أن يكتب تفسيرا للقرآن على نهج ما كان يكتب في جريدة العروة الوثقى. وكان محمد عبده يلقى دروسا في التفسير بالجامع الأزهر على طلابه ومريديه. وكان رشيد رضا ألزم الناس لهذه الدروس. فكان يكتب بعض ما يسمع، ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس شيخه بعد ذلك. ثم قام بنشر ما كتب على الناس في مجلته "المنار". ولكنه لم يفعل ذلك إلا بعد مراجعة استاذه لما كتب وتناول له بالتنقيح والتهذيب.

لهذا كله نستطيع أن نقول أن الشيخ رشيد رضا هو الوارث الأول لعلم الأستاذ الإمام. إذ أنه أخذ عنه فوعى ما أخذ وألف في حياته وبعد وفاته. فكان لا يحيد عن منهجه أو ينحرف عن أفكاره. وليس غريبا ما يرويه رشيد رضا من أن الأستاذ الإمام كان يقول: "صاحب المنار ترجمان أفكاري" كما أنه ليس غريبا ما يحدث أحد تلاميذ الشيخ رشيد رضا من أن الأستاذ الإمام وصف الشيخ رشيدا بأنه متحد معه في العقيدة والفكر والرأي والخلق والعمل"[٨٦].

إذا تتبعنا تفسير رشيد رضا لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الأستاذ الإمام انتاجا في التفسير. وذلك أنه كتب تفسيره المسمى بتفسير القرآن الحكيم. والمشهور بتفسير المنار. ابتدأ بأول القرآن، وانتهى عند قوله تعالى: [الآية ١٠١] من سورة يوسف "ربّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّي في الدنا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين" ثم عاجلته المنية، قبل أن يتم تفسير القرآن كله.

---

86 التفسير والمفسرون ٢: ٥٧٧

هذا القدر من التفسير مطبوع في اثني عشر مجلدا. ينتهي المجلد الثاني عشر عند قوله تعالى في الآية "٥٣" من سورة يوسف "وما أبرئ نفسي أن النفس لأمارة بالسوء" الآية. وقد أكمل بهجت البيطار تفسير سورة يوسف. وقد فسر الشيخ من القصار سورة الكوثر، والكافرون، والإخلاص والمعوذتين. ولا نعرف له انتاجا في التفسير أكثر من هذا. وفيه تتجلى روح الأستاذ الإمام ممزوجة بروح تلميذه. فالمصادر هي المصادر، والهدف هو الهدف والمنهج هو المنهج، والأفكار هي الأفكار. لا فرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل نادر[٨٧].

مصادره

إنه كان يستعين بعض آيات القرآن على فهم بعض آخر منه. وكان يستعين أيضا بما صح عنده من بيان رسول الله صلعم وربما جرى عليه سلف الأمة من الصحاب والتابعين، وبأساليب لغة العرب. ومستعينا بعد ذلك كله بعقله المتحرر من التقليد للمفسرين.

هدفه

أما هدفه في التفسير فهو عين هدف الأستاذ الإمام. وذلك فهم القرآن الشريف من حيث هو دين يهدي الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا وفي الآخرة. يقول: "إن حاجة الناس صارت شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح".

منهجه في التفسير

وهو شرح للآيات بأسلوب رائع، وكشف عن المعاني بعبارة سهة مقبولة وتوضيح لمشكلات القرآن، ودفاع عنه يرد ما أثير حوله من شبهات، وبيان لهدايته، ودلالة إلى عظيم ارشاده، وتوفيق على حكم تشريعه ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه وبيان لسنن الله في خليقته.

ولكنا نجده يحيد عن منهج أستاذه بعض الشيء بعد وفاته. وإلى هذا يشير بقوله "وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، وخالفت منهجه بالتوسع فيما يتعلق بالآيات من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل

[87] التفسير والمفسرون ٢: ٥٧٧

تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم أو يقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب، وتسكن إليه النفس[88].

يقول صاحب "التفسير والمفسرون" يبدو لنا أن هذا التوسع الذي كان من الشيخ رشيد، خصوصا في المسائل الاجتماعية لم يدفعه إليه إلا كونه رجلا صحفيا اتصل عن طريق مجلته بالناس على اختلاف منازعهم ومشاربهم. وفيهم المتدين والملحد والكافر. فأراد أن يتمشى بكتابته مع الجميع. فيثبت المتدين على دينه ويرد الملحد عن إلحاده ويكشف عن محاسن الإسلام. لعل الكافر أن يثوب إلى رشده ويرجع عن كفره[89].

آراؤه في التفسير

وهي كآراء استاذه تقوم على حرية واسعة في الرأي واعتداد عظيم بالفهم وثقة قوية بما عنده من العلم، وعدم تقيد ببعض المسلمات عند العلماء. ولهذا نجد له افكارا غريبة في تفسير القرآن. استقل ببعض منها. وقلد شيخه في بعضها الآخر.

وله رأي خاص في أصحاب الكبائر. وهو يقلد شيخه في موقفه من قصة آدم وابليس وما يتعلق بها. ورأيه في السحر كرأي الإمام. وأنه لا يرى السحر إلا ضربا من التمويه والخداع. وليس له حقيقة. كما يقول أهل السنة. وهو يوافق بهذا القول ـ قول شيخه وقول المعتزلة.

رأيه في الشياطين والجن

ويقول رشيد رضا: إن شياطين الجن لا تسلط لها على الإنسان إلا بالأغواء فقط. ويقول: كل ما يدعيه بعض الدجالين من تسلط الشيطان أو ملوك الجانّ على بعض الناس. وقدرتهم على نفعهم وضرهم فهو كذب، وحيل من شياطين الأنس وحدهم. ويرى أن الجن لا ترى للإنسان على أي حال من الأحوال. ويرجح أن من ادعى رؤية الجن، فذلك وهم منه وتخيل ولا حقيقة له في الخارج، أو لعله رأي حيوانا غريبا كبعض القردة، فظنه أحد افراد الجن.

---

88 التفسير والمفسرون ٢: ٥٧٩

89 المصدر السابق ٢: ٥٨٠

رأيه في معجزات النبي صلعم

أنه يقرر انه لا معجزة للنبي صلعم غير القرآن وينكر بعض معجزاته الكونية. ويتأول ما يشهد لها من آيات. ويجحد صحة ما يقوم باثباتها من الأحاديث، وما يسلماه من بعض الآيات الكونية. فهو في نظره، اكرام للنبي صلعم من ربه. وليس من قبيل المعجزة أو الحجة على صدق دعوته.

حملته على بعض المفسرين

هذا ولا يفوتنا أن نقول: أنه كان كثير التوسع فيما يتعقب به أحيانا قدماء المفسرين، خصوصا الفخر الرازي منهم مع قسوة منه عليهم في الكثير الغالب.

دفاعه عن الإسلام

ولا شك أن رشيد رضا قد دافع عن الإسلام والقرآن. وكشف عما أحاط بهما من شكوك ومشاكل. وقد استعمل في ذلك لسانه وقلمه. وضمنه مجلته وتفسيره. وكان يعتقد ويؤكد أن الإسلام الحقيقي هو دين العقل. وأنه جاء ليكون دين المستقبل للعالم كافة. وأن شريعة الإسلام هي القانون المطابق لمقتضيات الخير والصلاح الاجتماعيّ إلى أبعد مدى. ويقول أيضا: إن الإسلام دين عالميّ صالح لجميع الشعوب والأزمان وملابسات الحضارة.[٩٠]

٩- الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغي وتفسيره

إنه ولد في سنة ١٨٨١م وتوفي سنة ١٩٤٥م وقد تأثر بروح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ونهج على طريقته من التجديد واطراح التقليد والعمل على تنقية الإسلام من الشائب التي الصقت به وتنبيه الغافلين عن هديه وارشاده.

تربي في مدرسة الأستاذ وتخرج منها وهو يحمل بين جنبيه قلبا مليئا بالرغبة في الإصلاح والثورة على كل ما يقف في سبيل الإسلام والمسلمين. وأنه تقلب في مختلف المناصب الدينية الكبيرة، وصار شيخا للأزهر الشريف.

---

[٩٠] تفسير المنار (ج) ٨: ٣٩

انتاجه في التفسير

أنه عقد دروسا دينية في تفسير القرآن في الأزهر. استمع إليها الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم من الملك إلى رجل الشارع. واذيعت هذه الدروس أيضا في كثير من ممالك الأرض ودول الإسلام. وأخيرا طبعت هذه الدروس، ووزعت على الناس، ليعمّ نفعها ويزداد أثرها. وهذا التفسير على قلته عمل كبير وعظيم بالنظر لما يهدف إليه من إصلاح. وما يحمل في طياته من توجيه حسن في التفسير.

منهجه في التفسير

ويلاحظ أن الشيخ المراغي كان يختار لدروسه من آيات القرآن ما تتجلى فيه من دلائل قدرة الله تعالى وآيات عظمته، وما تظهر فيه وسائل هداية البشر ومواضع العظة والعبرة كما يلاحظ أيضا أنه وجه جانبا كبيرا من عنايته إلى الآيات التي يجمعها وقضايا العلم الحديث صلة القربى ليظهر للناس أن القرآن لا يقف في سبيل العلم ولا يصادم ما صح من قواعده ونظرياته.[٩١]

مصادره في التفسير

نجده أنه يستند في تفسيره على الآيات وما صح من بيان رسول الله صلعم وبيان سلف الصالح من الصحابة والتابعين. ثم على أساليب اللغة، وسنن الله في الكون، ثم على ما كتبه قدماء المفسرين. ولكنه لم يلغ عقله في هذا كله؛ بل يضع أمام نظره ويعرض ما فيه على قلبه وعقله. فما أعجبه منه أقره. وما لم يطمئن إليه نبذه وأعرض عنه.

وعلى كل حال وجدناه يعترف بالفضل للأقدمين ولا ينسى ما كان لهم من مجهود طيب، وأثر محمود فهو يقول: "ما هو الا ثمرات من غرس اسلافنا الأقدمين، وزهرات من رياضهم. ويلاحظ من موقفه نحو المفسرين المتقدمين أنه لم يرم في وجوههم بالعبارات القاذعة اللاذعة. بل كان عفا في نقده ونزيها في عباراته. ولم يتحامل على المفسرين كما تحامل غيره.

---

[٩١] التفسير والمفسرون ٢: ٥٩٤

هذا فانه ينهج في تفسيره منهج شيخه. فلا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل ولا يدخل في حزئيات سكت عنها القرآن، وأعرض عنها الرسول صلعم، فلا الروايات الموضوعة أو الضعيفة بكافية عنده حتى يزج بها في تفسيره، ولا الأخبار الاسرائيلية بمقبولة لديه. مثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ١٨٣ من سورة البقرة". يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم. الآية: نراه يقول: ونحن لا نعلم ما هو الذي فرضه الله على الأمم السابقة من قبل. أهو شهر رمضان كما قال بعض الناس؟ أم هو غيره؟ وليس لدينا ما يهدينا إلى شيء معين من دليل يطمئن إليه القلب. والتشبيه لا يدل على المماثلة في كل شيء. فنحن نؤمن بأن صوما فرض على الأمم السابقة لا نعلم مقداره ولا كيفيته.

ومثلا آخر، عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ١٢ من سورة لقمان "ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله الآية.. وجدناه يقول " اختلف الناس في لقمان هذا من هو؟ من أي الأمم هو؟ فقيل: أنه من بني إسرائيل. وقيل: إنه كان عبدا حبشيا. وقيل: أنه أسود من سودان؛ مصر؛ وقيل أنه يوناني. ومن الناس من جعله نجارا. ومنهم من جعله راعي غنم؛ ومنهم من قال أنه نبي. ومنهم من قال: أنه حكيم. وكل هذه الأقوال ليس لها سند يعول عليه. وبعد أن وصفه الله تعالى بالحكمة فلا يرفع من شانه، أنه كان من أشرف الأمم، ولا يضع من قدره أنه كان زنجيا مملوكا.[٩٢]

معالجته للمشاكل الاجتماعية

إنه يعرض لمشاكل المجتمع وأسباب الانحطاط في دول الإسلام. فيعالج كل ذلك بما يفيضه الله على قلبه وعقله ولسانه من هداية القرآن وارشاده. ولقد كان الأستاذ بصيرا بمواطن الداء وأسباب الشفاء. فكان يهدف في دروسه إلى علاجها واستنصالها. وكان كثيرا ما يوجه الخطاب إلى ارباب الحل والعقد في الدولة، ويلفت انظارهم إلى ما في اعناقهم من أمانات وما عليهم من تبعات. ثم يأخذ بيدهم إلى حيث يكون صلاحهم، وصلاح من تحت امرتهم ورعايتهم.

[٩٢] التفسير والمفسرون ٢: ٥٩٧

توفيقه بين القرآن والعلم الحديث

وكان الأستاذ المراغي مع اعتقاده أن القرآن قد أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته، والعلم به يكره أن يسلك المفسر للقرآن مسلك من يجر الآية القرآنية إلى العلوم، أو العلوم إلى الآية كي يفسرها تفسيرا علميا يتفق مع نظريات العلم الحديث. ولكن الأستاذ مع هذا كله يرى أن يكون مفسر القرآن على شيء من العلم بمبادئ نظريات علم الحديث ليستطيع أن يأخذ منها دليلا على قدرة الله ويستلهم منها مكان العبرة والعظة. وكان يعتقد أنه هو المسلك السليم لفهم القرآن الكريم. وبينه فقال: ليس من غرض مفسر كتاب الله أن يشرح علم السماوات ومادته وأبعاده وأقداره وأوزانه. ولكنه يجب أن يلمّ بطرف يسير منه ليدل على قدرة الإلهية ويشير إليه للعظة والاعتبار.

حرية الرأي في التفسير

ثم أن الشيخ المراغي كان كغيره من رجال هذه المدرسة لا يتقيد بأقوال الأئمة ولا يقف عند مذهب مخصوص. ولا يقول برأي معين، إلا إذا اقتنع به. وإلا فلا عليه أن يتركه إلى ما هو أصوب في نظره. فمثلا عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية ١٨٤ من سورة البقرة "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر" نجده يقول بعد أن يذكر خلاف العلماء في السفر المبيح للفطر. وقد روى أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس رض أن رسول الله صلعم كان يقصر الصلاة مسيرة ثلاثة أميال. وروى عن ابن أبي شيبة بإسناد صحيح أنه كان يقصر في الميل الواحد. وإذا نظرنا إلى أن نص القرآن مطلق، وإن كل ما روى في التخصيص أخبار آحاد. وأنهم لم يتفقوا في التخصيص. جاز لنا أن نقول: أن السفر مطلقا مبيح للفطر. وهذا رأي داود وغيره من الأئمة.[٩٣]

ومغزى هذه الدروس التي ألقاها الأستاذ في التفسير [أنه كان منها كما قيل امران عظيمان. لهما خطر مما في الحياة الدينية] كانت عاملا قويا في توجيه المسلمين ونشئهم الطيب الطاهر الى الجانب الديني ولفت أنظارهم إلى ما في كتاب الله من تشريع حكيم وأدب جمّ كريم وإرشاد قيم مفيد. فحببت إليهم الدين وزينته في قلوبهم. وهرعوا إليه يتعرّفون حكمه وأحكامه ويتلمسون بها حياة طيبة ونهضة قوية، أساسها الدين والخلق الكريم.

---

[93] التفسير والمفسرون ٢: ٦٠٦

وكانت هذه الدروس أيضاً منار هدى وارشاد يلقى اشعته الوضاءة على عقول المشتغلين بتفسير القرآن، فيضيء لهم الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه في فهم كتاب الله واستخلاص آدابه وأحكامه.

١٠- السيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن

مولده ونشأته:

ولد في قرية قها بمحافظة اسيوط بمصر سنة ١٩٠٦. وكان أكبر ابناء والده، الحاج قطب بن إبراهيم. حفظ القرآن على ظهر القلب في طفولته. وأتم دراسته الثانوية في القاهرة. وتعلم في كلية دار العلوم. وحصل على شهادة الليسانس في الآداب مع دبلوم في التربية من جامعة القاهرة سنة ١٩٣٣. ثم عمل مفتشا بعد تخرجه مباشرة في وزارة التربية. وأرسلته الوزارة في بعثة الدراسات العليا في الولايات المتحدة، وعاد منها بعد عامين. ومرة أخرى رحل إلى أمريكا للدراسة. ثم رحل إلى دمشق ممثلا للجنه حم اسات الإجتماعية في سنة ١٩٥٣. وألقى عدة محاضرات. ابرزها "التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي".

وبعد ما رجع أشرف على مجلة "العالم العربي" وكانت تعني بنشر بحوث تتعلق بقضايا العالم العربي ضد الاستعمار. فتعرف إلى الجماعة وانتسب إليهم سنة ١٩٤٥؛ وفي سنة ١٩٥٢ بعد خروج أعضاء اخوان المسلمين من السجن في عهد الملك فاروق الأول [١٩٣٢- ١٩٥٢] انتخب عضوا في مكتب الإرشاد للجماعة. وعين رئيسا لقسم نشر الدعوة في المركز العام للجماعة. فوضع برنامجا شاملا لترجمة كتب الإخوان إلى اللغة الفرنسية والانكليزية والاندونيسية وغيرها من اللغات. وفي سنة ١٩٥٣، انتدبه مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين في مصر لتمثيل الجماعة في المؤتمر الإسلامي الشعبي المنعقد في القدس. وكان الاخوان المسلمون ينقدون الحكومة المصرية. فلم يوافقهم السيد جمال عبد الناصر. واختارت قيادة الدعوة الإسلامية لجماعة الاخوان في مصر أن يكون السيد قطب رئيسا لتحرير جريدة "الإخوان المسلمون" سنة ١٩٥٤.

وفي سنة ١٩٥٥ اعتقل سيد قطب لما نقد الحكومة. وحكمته محكمة الشعب بالسجن مدة خمسة عشر عاما مع الاشتغال الشاقة. ثم اعفي من المدة الباقية بعد عشر سنوات. وبعد خروجه من

السجن، أخرج "معالم في الطريق". وكان هذا سببا لاعتقاله ثانيا. فصدر عليه الحكم بالإعدام، فشنق سنة ١٩٦٦م[٩٤].

ولا شك أن تفسيره "في ظلال القرآن" مأدبة شهية للقارئ. فإن المؤلف قد بذل جهده وعنايته في بيان خواص القرآن في جميع مراحل الحياة في هذا التفسير. فالتفسير من أعظم العلوم وارفعها. وهو رأس العلوم الدينية.

ونرى خلال بحثه وإيضاحه للآيات القرآنية إيمانه الراسخ بكلام الله تعالى. ونراه يشعر بلذة روحية عندما يشرع في تفسير القرآن. وهو يقول: "الحياة في ظلال القرآن نعمة؛ نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها؛ نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. وألحمد لله، لقد منّ علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان. ذقت فيها من نعمة ما لم اذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه- لقد عشت اسمع الله- سبحانه يتحدث إلى بهذا القرآن. أنا العبد القليل الصغير. أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوى الجليل؟ أي نعمة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم[٩٥].

وسيد قطب ينكر قول من يدعى أن العالم أنما وجد مصادفة، ولم يخلقه أحد. وهو ينقد هذا الدعوى. وهذا ظاهر من قوله التالي. فهو يقول: وفي ظلال القرآن تعلمت انه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للفلتة العارضة. "أنا كل شيء خلقناه بقدر"- "وخلق كل شيء فقدره تقديرا". وكل أمر لحكمة. ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة "فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"[٩٦].

ويتبع سيد قطب قوله هكذا. "أن الوجود ليس متروكا لقوانين آلية صماء عمياء. فهناك دائما وراء السنن الإرادة المدبرة، والمشيئة المطلقة. والله يخلق ما يشاء ويختار. والحق في منهج الله

---

[94] راجع "أعلام النثر والشعر – ليوسف كوكن ٣: ٤٥١

[95] المقدمة- في ظلال القرآن ١: ١١

[96] المصدر السابق ٢: ١٢-١٣

أصيل في بناء هذا الوجود، ليس فلتة. عابرة ولا مصادفة غير مقصودة. إن الله سبحانه هو الحق. ومن وجوده تعالى يستمد كل موجود وجوده ذلك. بأن الله هو الحق[٩٧].

أن سيد قطب يفسر الآيات القرآنية بمنهجه الخاص. مثلا: فلتنظر تفسيره لقوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" من سورة الفاتحة. يقول: وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة. فلا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله. وهنا كذلك مفرق طريق. مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية، وبين العبودية المطلقة للعبيد. وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشرى الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام، والتحرر من عبودية النظم والتحرر من عبودية الأوضاع. وإذا كان الله وحده هو الذي يعبد. والله وحده هو الذي يستعان. فقد تخلص الضمير البشرى من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص، كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات.

وهنا يعرض موقف المسلم من القوى الإنسانية ومن القوى الطبيعية. فأما القوى الإنسانية _ بالقياس إلى المسلم- فهي نوعان: قوة مهتدية تؤمن بالله وتتبع منهج الله- وهذه يجب أن يؤازرها ويتعاون معها على الخير والحق والإصلاح. وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه. وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها[٩٨].

إن عقيدة المسلم توحى إليه أن الله ربه خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقا مساعدا متعاونا. وإن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها ويتعرف إليها ويتعاون إياها ويتجه معها إلى الله ربّه وربّها. وإذا كانت هذه القوى تؤذيه أحيانا. فإنما تؤذيه، لأنه لم يتدبرها ولم يتعرف إليها. ولم يهتد إلى الناموس الذي يسيرها[٩٩].

وقد طار شهرة سيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن في الآفاق ومدح مقدرته في توضيح معاني القرآن كثير من العلماء والأدباء المحدثين. كتب الأديب محمد يوسف موسى في مجلة "الأزهر" عن منهجه في تفسير القرآن هكذا: لقد عني المسلمون بالقرآن منذ فجر الإسلام. فتناولوه بالدرس والبحث والتنقيب من كل نواحيه. فمنهم من عني ببيان ناسخه ومنسوخه، ومن عنى ببحث أسباب النزول لكثير من آياته، ومن عنى ببحث وجوه إعجازه ومن اهتم ببحث ما فيه من ألوان الفصاحة والبلاغة، ومن كان همه ببحث ما فيه من النحو والإعراب واللغة. أما الأستاذ الفاضل سيد

---

[97] في ظلال القرآن ١:١٤
[98] في ظلال القرآن ١:٢٥
[99] المصدر السابق ٢:٢٥

قطب الداعية الإسلامي والباحث المعروف في مصر والعالم الإسلامي والعربي، فإنه يفسر القرآن في كتابه "في ظلال القرآن" على غير النحو الذي الفناه. وقد اتبع منهجا سليما في ذلك. وهو عمل جليل يتبين بالبيان الرائع المشرق والأسلوب السهل الممتع... زاد عما زخرت به كتب التفاسير المعروفة من الأغراق في البحوث اللغوية والفقهية والكلامية في بيان ما اشتمل عليه من نظم اقتصادية واجتماعية وسياسية، لا نكاد نجدها في تلك المؤلفات على قيمتها وجلالتها مع شدة الحاجة لها[100].

ألف سيد قطب كتبا كثيرة مستمدا من القرآن والأحاديث في ضوء الظروف العصرية. فهو يقول في كتابه "دراسات في النفس الإنسانية". ولقد خطر لي يوما، وأنا مبتدئ دراستي للقرآن والإسلام أن للإسلام نظرية معينة في النفس الإنسانية، تبنى عليها كل توجيهاته وتشريعاته، وطريقة معالجته لهذه النفس، وطريقة تربيتها وتقويمها، وإن هذه النظرية لابد أن تكون موجودة في القرآن، أو في القرآن والأحاديث. إذ كان الرسول صلعم هو التفسير الواقعي للقرآن[101]

تصنيفاته:

١- منهج التربية الإسلامية

٢- شبهات حول الإسلام

٣- العدالة الإجتماعية في الإسلام

٤- المستقبل لهذا الدين

٥- خصائص التصور الإسلامي

٦- معركة الإسلام والرأسمالية

٧- الإسلام ومشكلات الحضارة

٨- هل نحن مسلمون

٩- هذا الدين

١٠- معالم في الطريق

---

100 أعلام النثر والشعر في العصر الحديث ٣:٤٥٩

101 أعلام النثر والشعر في العصر الحديث ٣:٤٥٢

١١- دراسات اسلامية

١٢- في ظلال القرآن

١٣- النقد الأدبي

١٤- جاهلية القرن العشرين

١٥- مع الله

وله رسائل مختلفة، ومقالات متنوعة، ومباحث نقدية لنتاج كبار الكتاب في الأدب والشعر والقصة. وقد نشر قصائد كثيرة في المجلات.

التفسير في العصر الحاضر

لم يترك الأوائل من المفسرين الكبار للأواخر كبير جهد في تفسير كتاب الله والكشف عن معانيه ومراميه. إذ أنهم نظروا إلى القرآن باعتباره دستورهم الذي جمع لهم بين سعادة الدنيا والآخرة. فتناولوه من أول نزوله بدراستهم التفسيرية التحليلية دراسة سارت مع الزمن على تدرج ملحوظ وتلون بألوان مختلفة.

إن المفسرين المتقدمين قد قاموا بالدراسات المختلفة من البحث والتحقيق. وقد خاضوا في الناحية اللغوية، والناحية البلاغية، والناحية الأدبية، والناحية النحوية، والناحية الفقهية، والناحية المذهبية، والناحية الكونية الفلسفية. كل هذه النواحي وغيرها تناولها المفسرون المتقدمون بتوسع ملموس لم يترك لمن جاء بعدهم من عمل جديد. أو أثر مبتكر يقومون به في تفسيرهم. اللهم إلا ضئيلا لا يعدو أن يكون جمعا لأقوال المتقدمين أو شرحا لغامضها أو نقدا أو تنفيدا لما يعتوره الضعف منها أو ترجيحا لرأي على رأي مما يجعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود خالية من التجديد والابتكار.

مميزات التفسير في العصر الحاضر

ولقد ظل الأمر على هذا الركود والجمود، حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة. فاتجهت انظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من هذا الركود، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود. فنظروا في كتاب الله نظرة أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيرا. فحاولوا أن ينقوا التفسير من قصص الإسرائيليات التي كادت تذهب بجمال القرآن وجلاله. ويمحصوا ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، والبسوا التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا يظهر روعة القرآن وأهدافه السامية. وهذا ساعد الناس أن يعرفوا أن القرآن هو الكتاب الخالد الذي يتمشى مع الزمن في جميع اطواره ومراحله.

ألوان التفسير في العصر الحاضر

وعلى ضوء ما تقدم من البحث والبيان نستطيع أن نجعل ألوان التفسير في العصر الحاضر في الألوان المختلفة: اللون العلمي، واللون المذهبي، واللون الأدبي الاجتماعي؛ ولهذه الأنواع لون خاص كما يشير إليه الاسم. مثلا فالتفسير العلمي يحاول أن يجعل القرآن مشتملا على سائر العلوم الحديثة. وهم يحملون القرآن كل علوم الأرض والسماء. ويجعلونه دالاً عليها. ومن أهم كتبها "كشف الأسرار النورانية" القرآنية فيما يتعلق بالإجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية؛ للإمام الفاضل والطبيب البارع محمد بن أحمد الاسكندراني من علماء القرن الثالث عشر. وكذلك رسالة عبد الله باشا فكري.

وألف السيد عبد الرحمن الكواكبي كتابا اسمه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" وفي كتابه هذا يصف القرآن بأنه "شمس العلوم وكنز الحكم". وهو فيه يأخذ في بيان اشتمال القرآن على ما جدّ من نظريات علمية تؤيد إعجاز القرآن. وإذا تأمل العلماء في معاني القرآن لرأوا فيه كل يوم آية تتجدد مع الزمان والحدثان تبرهن على إعجازه بصدق قوله تعالى "ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ثم يأتي فيه بأمثال عديدة لتأييد آرائه.

وفي هذه الحركة العلمية الحديثة أسهم مصطفى صادق الرافعي. فألف كتابه المشهور ب" إعجاز القرآن" وفيه باب خاص لموضوع "القرآن والعلوم". وهناك كتاب للدكتور عبد العزيز إسماعيل اسمه الإسلام والطب الحديث". يقول فيه أن القرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك. ولكنه يشير أحيانا إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم كما يقرر أن كثيرا من آيات القرآن" لا يفهم شيئا من معناها الحقيقي إلا من دروس العلوم الحديثة" كما يؤكد أن العلم الحديث كشف عن معنى بعض الآيات. وسينكشف الباقي منها كلما تقدمت العلوم. ثم يأتي وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس إلى الدين[١٠٢].

وجدير بالذكر بهذا الصدد قول أحد رجال الفكر محمود سالم رئيس "جماعة الدعوة والإرشاد". مرّ على المسلمين زمن كانوا يستعينون فيه على تفسير القرآن بأفكر أرسطو وأفلاطون وبقراط وفيثاغورس وجالينوسز.. من فحول اليونان والهند وغيرهم. أما نحن الآن ففي وقت لا يكفينا فيه رأى الأقدمين وحدهم. فقد استدار الزمان وحدثت حوادث وظهرت أقضية وأمور جديدة تستوجب البحث فيما قاله أهل هذا الوقت مثل: ليبنتز وأوجست كونت وسبنسر من كبار الألمان والفرنسيين والانجليز وغيرهم.[١٠٣]

وعلينا أن نعترف بأن الإسلام ليس عدوا للتقدم العلمي. وليس هناك دين أكثر سماحا بالنمو والازدهار، ولم تكن عقيدة من العقائد انقى نقاء واكثر اتساقا مع مقتضيات التقدم الإنساني، ومن أصحاب التفسير العلمي للقرآن يؤكدون قولهم بأن القرآن لا يمكن أن يحتوي على تعليم يتعارض مع حقائق العلم. بل يشتمل على النظريات العلمية للقرنين التاسع عشر والعشرين. وأن خفي ذلك على إنظار السطحيين. وإنما ينبغي على المرء أن يقرأه بعينين مفتوحتين ويفهمه بعقل سليم خالص من الأحكام السابقة.

ويوضح واحد من أقدم الممثلين لمذهب التجديد- وهو العالم الفارسي: السيد كرامت علي [١٨٧٨م] في كتابه "الإتفاق الأساسي التام بين الكتاب الكريم والحديث وبين اتعاليم الأوربية في الطبيعة وعلم الفلك والعلوم الكونية". آراءه في تفسير بعض الآيات. وهو عندما يورد الآية "من

---

[102] التفسير والمفسرون ٢:٥٠٢

[103] حكاية من المنار ١٤:١٧هـ؛ ومذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهر ٣٧٦

سورة فصلت" "ثم استوى إلى السماء هو دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين" يقول فقد استخلص من ذلك أن القرآن سبق معارف زمنه حيث تقدم بإثبات حركة الأرض[١٠٤]

وقد يأتي العلماء المحدثون بما يبعث على الدهشة في مثل هذه الأدلة والدكتور محمد توفيق صدقي- هو الذي يعمل بشغف على إثبات مثل هذا التوافق- ففي بحث له "بعنوان" علم الفلك والقرآن" يستدل بمعارف الفلك في العصر الحديث، على موافقة ما ورد في القرآن عن السماء والأرض والكواكب للعلوم الحديثة[١٠٥].

القرآن وعلم الطبيعات

حينما تقرأ هذا العنوان يخطر ببالك سؤال مهم. وذلك هل للقرآن علاقة بعلم الطبيعات؟ طبعا فأنت تتفكر عن هذا السؤال لحظة. فيتصور في قلبك بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الظواهر الطبيعية.

وقبل كل شيء ينبغي لنا أن نعرف أن القرآن لم ينزله الله تعالى على نبيه محمد صلعم لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية. فليس من مقاصد الدين تعليم هذه الأمور. وإنما تذكر فيه محاسن المخلوقات وعجائبها للتنبيه على حكمة الله تعالى ورحمته. وذلك للحث على التدبر والتفكر في خلق السماوات والأرض. فإن من مزايا الإسلام التي امتاز بها على سائر الأديان، إن القرآن يحث على العناية بعلوم الكون ودراستها. وهذا ظاهر من قوله تعالى في سورة البقرة" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزله الله من السماء من ماء إلخ [الآية ١٦٤].

ولا شك أن هذه الآية- ومثلها كثير- تقدم فرصة خاصة لتأكيد العناية بدراسة الطبيعيات والعلوم الكونية. والذين يعادون علم الكون باسم الدين يزعمون أن النظر في ظواهر هذه الأشياء كاف للاستدلال بها على قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. فمثلهم كمن يكتفي من الكتاب برؤية جلده الظاهر وشكله من غير معرفة ما أودعه من العلم والحكمة. وفي الحقيقة أن هذا الكون هو كتاب الإبداع الإلهي المفصح عن وجود الله وكماله وجلاله وجماله. وإلى هذه الحقيقة، وإلى هذا الكتاب الإشارة

---

104 راجع مذاهب التفسير الإسلامي ص ٣٧٦

105 المصدر السابق ص ٣٧٧

بقوله تعالى: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا [الكهف. الآية ١٠٩]. والآية ٢٧ من سورة لقمان "ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم".

M.A. Degree Examination August 2006

ARABIC (Model Questions)

PAPER IV (P) Course No. 104(P) THAFSEER LITERATURE

80 Marks **[Section A]** **Time: 3 Hours**

I أجب عن الأسئلة الآتية [والعلامات متساوية]. **15 Marks**

١- ما المراد بأصول القرآن؟

٢- ما معنى التفسير اصطلاحا؟

٣- ما هو تعريف القرآن؟

٤- من الملقب بترجمان القرآن؟

٥- ما اسم تفسير القرطبي؟

٦- من هو مجاهد بن جبر؟

٧- أين ولد الإمام الرازي؟

٨- ما اسم تفسير الآلوسي؟

٩- ما هو علم أصول التفسير؟

١٠- من مؤلف "مناهل العرفان"؟

١١- ما معنى الدراية؟

١٢- ما التفسير بالأثر؟

١٣- من ألف تفسير الجلالين؟

١٤- من الذي يعتبر أبا للتفسير وللتاريخ؟

١٥- من هو مرة الهمذاني؟

[Section B]

II أكتب مقالا عن ثلاث من الآتية والمقالة لا تقل عن صفحتين. **3x7=21 Marks**

١- فضل التفسير والحاجة إليه.

٢- قيمة التفسير بالرأي وحكمه

٣- مكانة الزمخشري بين المفسرين وقيمة تفسيره.

٤- القرآن وعلم الطبيعيات.

٥- القرطبي ومنهج تفسيره.

٦- أنواع التفسير

[Section C]

III أكتب مقالة جيدة على أربع من العناوين الآتية. 4x11=44 Marks

١- محمد رشيد رضا وقيمة تفسيره في العصر الحاضر

٢- الآلوسي وتفسيره- آراؤه في المسائل الكونية.

٣- محمد بن جرير الطبري. وتفسيره جامع البيان ومنزلته بين التفاسير.

٤- البيضاوي وتفسيره: موقفه من مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة وميزة هذا التفسير.

٥- ألق ضوءً على منهج تفسير المراغي ومصادره ومعالجته للمشاكل الاجتماعية.

٦- الشيخ طنطاوي جوهري ومنهجه في التفسير وميزته.

Model Questions No. 2

80 Marks [Section A] Time: 3 Hours

I أجب الأسئلة كلها- والعلامات متساوية 15 Marks

١- ما معنى التأويل اصطلاحا؟

٢- ما المراد بعلوم القرآن؟

٣- من المصنف لكتاب "الاتقان في علوم القرآن؟

٤- من الملقب "بجار الله؟

٥- ما هي مصادر التفسير بالأثر؟

٦- ما اسم الآلوسي؟

٧- أين ولد محمد رشيد رضا؟

٨- من هو طاووس بن كيسان؟

٩- ما هو التفسير الأشاري؟

١٠- من مؤلف "النهاية في غريب الحديث"؟

١١- ما اسم البيضاوي؟

١٢- من هو مسروق بن الأجدع؟

١٣- من مؤلف "مفاتيح الغيب في تفسير القرآن؟

١٤- ما هو تعريف القرآن؟

١٥- ما اسم تفسير "الشوكاني"؟

[Section B]

II أجب عن ثلاث من الآتية. الجواب لا يقل عن صفحتين 3x7=21 Marks

١- تطور علم التفسير عبر القرون

٢- التفسير والتأويل والفرق بينهما

٣- شروط المفسرين

٤- قيمة التفسير بالأثر وحكمه.

٥- مميزات التفسير في العصر الحاضر.

٦- عبد الله بن عباس ومكانته في تفسير القرآن

[Section C]

III أكتب مقالة على أربع من العناوين الآتية والمقالة لا تقل عن ثلاث صفحات. 4x11=44 Marks

١- عين مكانة الفخر الرازي بين المفسرين، وأوضح ميزة تفسيره.

٢- يعتبر تفسير القرطبي من أهم المراجع في علم التفسير. علق على هذه العبارة.

٣- أكتب مقالة حول تطور التفسير في القرن العشرين وقارن بين تفسير الطنطاوي وتفسير المراغي.

٤- تطور التفسير في عصر الصحابة والتابعين.

٥- مكانة سيد قطب وأهمية تفسيره في ظلال القرآن.

٦- "إن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر" ناقش هذه العبارة.